أشكال التناص في الروايتين :

توطئة:

إذا كان التناص هو تداخل النصوص والتفاعل فيما بينها ،فإن هذا التداخل قد يكون حضور نص خارجي أو إعادة الكاتب لنص له وإدخاله في إنتاج جديد، وبالتالي فالتناص يتمظهر في إقامة النص لعلاقات مع نصوص أخرى، هذه العلاقات تبرز على مستوى الجنس أو النوع أو النمط، وقد تكون ذاتية أو داخلية أو خارجية .

ومن هذا المنطلق ظهر ما يسمى "أشكال التناص" وهي- بحسب الناقد نور الدين السد[1*] - ثلاثة أشكال هي:

1/ التفاعل النصي[2*] الذاتي :أي أن الكاتب تدخل نصوصه في تفاعل ذاتي لغويا وأسلوبيا وحتى نوعيا ،وهذا الشكل ارتأيت أن أعالجه في مقاربتي هذه تحت عنوان "التناص الذاتي".

2/ التفاعل النصي الداخلي : حيث يتفاعل الكاتب مع نصوص الآخرين، وهذا الشكل ارتأيت معالجته تحت عنوان "التناص الأدبي".

3/ التفاعل النصي الخارجي:حيث يتفاعل الكاتب في نصه مع نصوص سابقة أي مع نصوص ظهرت في عصور بعيدة .[1]

وهذا الشكل الأخير ارتأيت معالجته تحت عدة عناوين لكي أفصل وأوضح أكثر ،وهذه العناوين هي :التناص التاريخي والتراثي – التناص الديني والصوفي – التناص الأسطوري .

ومرد مقاربتي في هذا الفصل الذي عنونته بـ: "أشكال التناص في الروايتين" بهذه المسميات والتقسيمات التي أوردتها هو كون النص جمعت فيه نصوص مختلفة من أدبية ودينية وتاريخية ...

[1*] - هذا التقسيم أيضا يطرحه بهذا الشكل الناقد سعيد يقطين في كتابه : انفتاح النص الروائي ، ص94-95، والدكتور أحمد محمد قدور في كتابه : اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي ص، 128-129، في حين محمد مفتاح يقسم أشكال التناص إلى قسمين هما :
1/ **تناص داخلي** :حيث يعيد الكاتب إنتاج ما كتب هو نفسه.
2/ **تناص خارجي** : يعيد فيه الكاتب إنتاج ما كتبه غيره.

[2*] – يقصد بالتفاعل النصي مصطلح **التناص** .

[1] - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، ص : 112.

كما أن استخدام الأسطورة والرمز فيه كان بشكل كبير ،فأردت الكشف عن بعض مواطن هذا الزخم، محددا ومنظما، ومفصلا، ومحللا، ومتغلغلا في دلالات النص.

1- التناص الذاتي والأدبي :

1- أ- التناص الذاتي :

هو أن يدخل الكاتب في تفاعل ذاتي مع نفسه لغويا وأسلوبيا وحتى نوعيا، فالكاتب "قد يمتص آثاره السابقة أو يحاورها أو يتجاوزها، فنصوصه يفسر بعضها بعضا، وتضمن الانسجام فيما بينها أو تعكس تناقضا لديه، إذا ما غير رأيه "[1].

وسنركز في هذه الدراسة على عدة نقاط نبلورها في تركيز الكاتب على الدلالة العميقة لعناوين أعماله ونخص الدراسة على "التبر"و"الفزاعة" من خلال العنوان كعتبة تناصية ،وأيضا تركيزه على بعض التقنيات الأسلوبية التي راح يكررها نظرا لأهميتها، وذلك ما سنوضحه كما يأتي :

1-أ-1- العنوان كعتبة تناصية .

1-أ-2-تناص ذاتي من خلال التقنيات السردية والأسلوبية مثل :

*** تقنية توظيف القناع.**

*** تقنية توظيف العدسات المكبرة والمقربة.**

*** تقنية توظيف المونولوج.**

1-أ-1- العنوان كعتبة تناصية :

تجدر الإشارة في البداية إلى أن العتبات النصية قد دعا إليها الناقد جيرار جينيت.

وقد ذكرنا ذلك سابقا في الفصل الأول، وتعتبر عتبة العنوان العتبة النصية الأولى التي تواجه القارئ، يقول الناقد محمد صابر عبيد : " يأتي العنوان في مقدمة هذه المواجهات التي

[1] -محمد مفتاح :تحليل الخطاب الشعري ، ص:125.

يمكن أن تستقطب فضول القراءة من أجل العمل على حل مشكلات النص، لذا بدأت إشكالية عتبة العنوان تشغل حيزا استثنائيا في الدرس النقدي الحديث، إذ تكشف عن إمكانيات خطيرة في فهم النص وتأويله، وأظهرته الدراسات الحديثة مفتاحا تأويليا كاشفا، تبقى أي دراسة نقدية للنص الإبداعي ناقصة من دون معاينته والنظر إليه بجدية توازي النظر إلى النص".[1]

والعنوان بالنسبة للنص كالأم بالنسبة للطفل تطعمه في كل حين، ومن شأن هذا التطعيم أن يزيد في اتساع النص وتمطيطه، فهو المحور[2]الذي يتوالد و يتنامى ويفيد إنتاج نفسه، فالنص شظايا موزعة، يلملم أجزاءها العنوان فيكون فسيفساء .

والعنوان من أهم عناصر النص نظرا لكونه مدخلا أساسيا في قراءة الإبداع الأدبي والتخييلي بصفة عامة ،والروائي بصفة خاصة ،وهو العلامة التي تطبع الكاتب أو النص وتسميه وتميزه عن غيره حتى قيل "يقرأ الكتاب من عنوانه".

وإبراهيم الكوني عناوينه الروائية تتميز ببعدها الجمالي والتعلق بالموروث الطارقي وانزياحها عن مألوف العنونة الواقعية المباشرة ،والروايتان التبر والفزاعة من العناوين التي تحمل دلالة مكثفة تدعو إلى التمسك بناموس (قانون)الصحراء ،هذا الناموس الذي من تعاليمه رفض التبر ونبذ الاستقرار (الفزاعة).

وبدقة أكثر وبتحليل أعمق نقول أن الرواية الأولى التبر وبالعودة إلى المعنى المعجمي لعنوانها نجد:

"التبر:يعني الذهب، وقيل هو من الذهب والفضة وجميع جواهر الأرض، ما استخرج من المعدن قبل أن يصاغ ويستعمل، وقيل:هو الذهب المكسور، قال ابن جني:لا يقال له تبر حتى يكون في تراب معدنه أو مكسورا."[3]

1 - محمد صابر عبيد : تأجيل متاهة الحكي، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص130-131.
2 - ينظر :بسام قطوس :السمياء العنوان، وزارة الثقافة، مطبعة البهجة، عمان، الأردن، 2002، ص41.
3 - ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000،ج9، ص181.

فمن خلال المعنى المعجمي يتضح أن الكوني قد كان دقيقا في اختيار العنوان، فالتبر هو الذهب ومكانة الذهب غالية، وهو ذهب في حالته الخام أي على شكل حبيبات رملية مما يتوافق ومضمون الرواية من حيث المكان وهو "الصحراء".

ومن جهة أخرى "التبر" قد يعني اللعنة، فالذهب هو المال والمال إن لم يحسن التصرف فيه عوقب صاحبه مرتين :- عقوبة الخوف المستمر من فقدانه،- وعقوبة القبر، فهو يتمثل له ثعبانا أقرعا.

ومن الدلالة السميائية للفظة :"التبر" يمكن أن نقول: (الـ) للتعريف، فالذهب معروف لدى كل الشعوب وفي كل الأزمنة، و(التاء) المشددة ترتبط بتاء التأنيث حيث الأنثى والإغراء والمتعة، فلا ينجو من كيد الأنثى إلا محظوظ ذكي عاقل، وإن فتن ووقع كانت لعنة أخرى.

وحرف (الباء) هو حرف البناء "فكل كلمة تحتوي ضمن حروفها حرف الباء تعني اسما لشيء مادي أو حسي مبني أو هو جزء من أجزاء البناء أو يدخل في عملية البناء"[1]، فالتبر يكون الذهب وهو من أجزاء البناء.

أما حرف (الراء) وهو حرف الأرض، من رسم شكله (ر) يدل على العودة إلى الأسفل إلى الأرض، "يدل على كل شيء مادي أو حسي يقع على الأرض أو تتكون منه الأرض أو ينتمي إليها "[2].

ومن خلال ما سبق ولكون العنوان بنية مختزلة لا تفهم بسهولة إلا بالعودة إلى النص نجد التبر يدل على الصحراء ولعنتها اللعنة الأبدية التي ترفض الدخيل بل وتنتقم منه وتنتقم ممن يحاول تغيير ناموسها المقدس فهاهي في رواية التبر تتجسد هذه العقوبة في تلك النهاية التراجيدية لبطل الرواية أوخيد بمجرد لمس يده للتبر "أخرج من صندوق الحديد جرابا جلديا قديما، موسوما بإشارات السحرة، غرف منه بفنجان الشاي مرتين، فتلألأ التبر وأعمى العيون، أشعة الغسق الصفراء انعكست على الحبيبات الصفراء فتلامع الذهب ،قدم له السرة، وقال:

[1] - إياد الحصني : معاني الأحرف العربية، سندس للفنون المطبعية والإشهار، الجزائر، 2006، ج1، ص53.
[2] - نفسه ، ص: 41.

- لا تعتبر هذا رشوة، انه سيقيك شر الحاجة حتى تمر المجاعة.

قال أوخيد:

- لا اعتقد أني سأحتاج إليه، يقال في قبيلتنا انه يجلب اللعنة".[1]

وبهذا فالعنوان في رواية التبر استطاع أن يملك قوة إبداعية تأويلية خلاقة ترتبط بالنص وتجيب وتحاور القارئ وتدخله في غيابات السؤال والجواب بل وقد تخلط عليه الأوراق وتقلب عليه الموازين وتشتت أجزاء نفسه أمامها وخاصة عندما تصبح هذه العتبة عتبة شد وغواية وتمويه، فمنذ الوهلة الأولى يتبادر إلى الذهن أن الرواية تعالج التبر لكن منذ الفصول الأولى يتفاجأ القارئ بقصة أوخيد وعلاقته بجمله الأبلق إلى أن يدرك القارئ ويعتقد اعتقادا نهائيا أن لا مكانة للتبر في هذه الرواية يصطدم في الصفحة 125 بذكر لفظة التبر لأول مرة "فتلألأ التبر وأعمى العيون"[2] وهذه المفارقة تدل على براعة الكوني وذكائه في اختيار العنوان وبهذه الطريقة وهذا الاختيار تدخل اللعنة مرة أخرى محاولة القضاء على التصور السابق للقارئ ليبدأ في تصور جديد مثلما حدث في أحداث الرواية عند ما قضى الذهب على "دودو" عدو أوخيد، كما أن هذه اللعنة تمتد لتقتل أوخيد نفسه أنها "لعنة الله على الذهب قال : انه يجلب النحس".[3]

وأخيرا التخلص من هذه اللعنة كان بالتخلص من التبر نفسه عندما قدم أوخيد إلى البئر حيث وجد دودو يستحم فقتله برصاصتين (في مقابل الغرفتين بفنجان الشاي اللتين أعطاهما دودو لأوخيد تبرا)، "وفتح صرة التبر وألقى بها في العين، فوق المكان الذي غابت فيه الجثة، قال:

- وهذه هدية الزرافة:

تلألأت المياه تحت أشعة الشمس الغاربة بذرات التبر اللامعة والدم الأحمر".[4]

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 125
[2] - نفسه ، ص : 125.
[3] - نفسه ، ص : 136.
[4] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص : 141 – 142 .

أما في الرواية الثانية الموسومة بالفزاعة فالعنوان يحمل أكثر من مدلول، وذلك ما نحاول توضيحه في ما يلي :

الفزاعة معجميا من الفزع بمعنى الخوف وتحمل نوعا من الإيهام والخداع .

أما على وجه الحقيقة فهي عند المزارع عبارة عن ألواح تلبس خرق بالية لإخافة العصافير لاعتقادها بأن الفزاعة إنسان حقيقي، ونجد العنوان يرتبط بالمحتوى عندما نكشف في تتبع النص أن أهل الواحة في فزع وخوف من الزعامة ،وفزع من الجديد الآتي ،وفزع من المجهول المنتظر وفزع من المرأة وفزع من كل شكل ،فهي مصدر غرابة وإدهاش وخوف في الواحة التي لا تعرف غير اللاأمن واللااستقرار واللاقناعة حيث تتصارع وتتصاعد الأحداث خوفا وهلعا وخداعا ومكرا ،وهذا عندما يموت السلطان ،هذا الطوطم الغريب المرتبط بالسحر في أغلب الأحيان ،أمره غير عاد ،حضوره فزاعة وغيابه فزاعة أخرى ،يقول الكوني:"الفزاعة قدرنا نحن نستقر في الفزاعة والفزاعة تستقر فينا نحن الفزاعة،والفزاعة هي نحن"[1] ،إذا فالفزاعة هي شرور النفس البشرية حين تمتهن السحر والخداع فيحل الغضب وتحل اللعنة، ولتغتسل الذات البشرية من ذلك وجب القصاص، هذا الأخير الذي يفرضه ناموس الصحراء للتطهر من كل الشوائب مثلما فعل بدودو وبأوخيد في رواية التبر – سابقا -.

ويربط الكوني الزعامة بالفزاعة ويروي بأنها ابتلاء يقول :"صدقت، جربت القبائل من قديم أن الرجل يظل رجلا ككل الرجال إلى أن يبتليه الخفاء بالزعامة"[2]،بل و يحذر الكوني منها ويراها من المس يقول :"احترسوا أن تلفوا حبل المس في رقبة من تحبون ".[3]

واللافت للانتباه -وكملاحظة أخرى في قراءة العنوان- نجد "الفزاعة "جاءت معرفة بالألف واللام دلالة على التعريف لكن مفهوم المصطلح مشتق من الفزع بمعنى الخوف هذا الخوف الذي يكون عادة سببه "المجهول" وبهذا فالكوني يجمع بين المعلوم والمجهول ليزيد العنوان بريقا وتعلقا وغموضا وغواية مرة أخرى.

[1] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 11
[2] - نفسه ، ص: 11
[3] - نفسه ، ص : 17 .

ويصيغ الكوني العنوان بصيغة التأنيث ليربطنا فكريا بما تفرزه نصوصه بان المرأة هي سبب اللعنة بل يلعنها في قوله : "لعن الله الأنثى ! لعن الله الأنثى"[1]ويقول :"الأنثى هي السبب!هي السبب دائما".[2]

في حين الأنثى هي سبب التوالد والتكاثر والاستمرار، سبب الديمومة الإنسانية، فهل اختيار العنوان بصيغة التأنيث هو سبب أخر في استمرار إحداث الرواية (الفزاعة) التي كانت تتناسل هي الأخرى و تتوالد من فصل إلى فصل ومن مشهد إلى مشهد.

1-أ-2-تناص ذاتي من خلال التقنيات السردية والأسلوبية:

في هذا الجزء سنختصر الدراسة على معالجة النقاط الآتية:

* تقنية توظيف القناع.

* تقنية توظيف العدسات المكبرة والمقربة.

* تقنية توظيف المنولوج.

*** تقنية توظيف القناع:**

إن من العناصر التي يتناص فيها الكوني مع رواياته توظيفه للغة المقنعة أو اللغة المجازية التي تحمل أكثر من مدلول ،بل وتجعل القارئ في حيرة من أمره لأنها ترمي به في حقول دلالية لامتناهية بأشعة لا مرئية، وأحيانا تجذبه حتى التماهي مع النص جسدا واحدا،و سلطة اللغة على النص كبيرة فهي " لم تعد علامة ممتلئة تكتفي بنسخ الواقع المتوهم بل غدت جزءا من مغامرة الكتابة وعنصر بحث عن محتمل الرواية وممكناتها المتعددة ".[3]

ولغة الكوني لغة إشارة مفعمة بالتلميح والمفارقة والمجاز ، يقول الكوني في حديثه عن الأبلق الذي يعتبره ويعامله كالبشر بأنه يحزن ويخجل ويفرح :"عاد من إحدى الغزوات كئيبا،

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 30.
[2] - نفسه ، ص : 16 .
[3] - ينظر : أحمد فرشوخ :جمالية النص الروائي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 1996، ص93.

انطفأ بريق المرح في عينيه الكبيرتين ودلى شفته السفلى أكثر، وقف في العراء هادئا صامتا، يشيع الأفق المتراقص في ألسنة السراب السماوية بنظرة حزينة، كان خجولا".[1]

وكذلك في حديثه عن الطبيعة يوظف الكوني اللغة المجازية المقنعة الحاملة لأكثر من مدلول يقول:"أطل قمر خجول باهت الضوء، ولكن السكون في الواحة جليل، من غابة النخيل تباهت زغاريد الجنادب الليلية ".[2]

وفي الفزاعة يقول :"تبادلوا نظرات الذهول أخيرا، اكشفوا بعد زمن أن الشبح قد اختفى والظلمة تهدد المكان، فأطعموا النار حطب جديدا".[3]

ونجده في موطن آخر بلغة عميقة الدلالة يقول :" في عزلة المراعي يعود الخفاء من التيه ليسكن السكون، فينسل البلبال من النفوس ليروي الظمأ بالفرار إلى ممالك تؤوي في حصونها أسواقا تتسكع فيها أهواء الخلق وحظوظ الدنيا فتختلي الصحراء بالعابرة لتخبره بتلك البشرى التي كانت دائما سر شغف أهل العبور".[4]

وفي موطن آخر يجعل الكوني الظلمات تتسلل والأنواء تنادي والنجوم تغزو فيقول :"ولكن المساء قلب الأمر رأسا على عقب فخلق من السماء صحراء، ومن الصحراء سماء، ظلمات تسللت فشوشت بهاء الأفق وفي ساحة الأعالي ولد عراء آخر بدأت تغزوه النجوم وتنادت في أركانه الأنواء والأفلاك بغمزات الإيماء".[5]

وبالعودة إلى رواية المجوس نجد الكوني يحافظ على لغته الراقية ليتناص مع التبر والفزاعة فيقول:"تغضنت الصحراء وقطب الأفق حاجبيه لليوم الثاني، احتقنت السماء بالشحوب والعتمة، وغرقت أبراج إيدينان الشمالي في عمامة كالغيم ".[6]

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 19.
[2] - نفسه ، ص : 83 .
[3] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 40.
[4] - نفسه ، ص : 52.
[5] - نفسه ، ص : 55.
[6] - إبراهيم الكوني :المجوس ، رواية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ليبيا ، ط3، 1997.، ج1، ص08.

ويقول أيضا في نفس الرواية :"نزل من القمم برشاقة ودان، توقفت الريح واستيقظ الجلاد الأبدي، احتكم إلى سياط النار فتدفق السراب في السهل، اغتسلت الصحراء بالسيول الخرافية منذ الضحى ".[1]

وفي موطن آخر يجعل الصحراء كالإنسان تسخر وتتكلم يقول:"كأن الصحراء تسخر من البنيان المكابر، وتقول إن كل شيء سواها زائل باطل لا وجود إلا للصحراء، ولا خلود إلا للسكون".

*** تقنية توظيف العدسات المكبرة والمقربة:**

إن ما يملكه الكوني من لغة قوية وبراعة تحكم فيها، يجعله يوظفها كيفما يشاء وأين ما يشاء، وبأي ما يشاء، فهي كعدسة الكاميرا وهو الماهر العارف بتقنياتها المختلفة، واللافت للانتباه هو تناص الكوني في هذه التقنية مع معظم أعماله حتى أنها أصبحت من سمات لغته السحرية يستطيع أن يقرب ويدقق دقة العارف بالأشياء المعايش لها، يقول في وصفه لساحة الرقص :"دخل الساحة بعد الظهر في السهل تحلقت النساء حول الطبول، وكون الصبية حولهن طوقا واسعا، واتخذ الشيوخ موقعهم على المرتفع الجنوبي، واجهتهم من الناحية المقابلة الرجال والشبان وهم يتوجون رؤوسهم بالعمامات الفخيمة الزرقاء، ويتهادون في خطوهم بكبرياء الطواويس ورابطت المهاري في الأفق على جانبي العراء، صف تأهب في الغرب والصف المقابل رابط شرقا ".[2]

ونجد بهذا الوصف الكوني يملك خاصية رائعة وفريدة من نوعها فهو رجل آلة التصوير التي تجسد المكان قربا وبعدا ومن جميع النواحي فهو يتكلم كلام العالم المعيش للحياة اليومية وبدقة وبذلك كان تصويره تصويرا فوتوغرافيا بمعنى الكلمة، ويتضح ذلك أيضا في رواية الفزاعة حين يقول في تصويره لأحد المجالس :"استولى السكون على المجلس توقفت أصابع الأعضاء عن حرث الأرض، أو معاندة قطع الحجارة أو العبث بأطراف الثياب ".[3]

[1] - نفسه ، ص: 61.
[2] - إبـراهيم الكوني : التبر ، ص: 14.
[3] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 16.

وفي صورة فوتوغرافية أخرى يقول:" لأن الرفاق سمعوا في صمتهم ثغاء الجداء العائدة من المراعي، وصياح الرعاة، وهرج الصبيان في الأزقة المجاورة للحرم ونداءات القوافل في أسواق التجارة".[1]

وفي موضع آخر في وصفه أحد شخصياته يقول:"طاف إيمسوان وجوه الأقران كأنه يستجدي نجدة، ولكن وجوه الأقران كانت صارمة، خرساء، كئيبة، وخفية أيضا، كأن الجن استبدلوا الأصحاب أيضا ... قال بلهجة غريبة هل تذكر اليوم الذي حاصرتنا فيه جيوش الدهماء".[2]

فمن هذا المقطع الأخير نستشعر قوة التصوير لدى الكوني حيث يطوف بالمكان من كل زواياه ويعطي للنظرة صفة،وللابتسامة صفة ،وحتى للحركة والإشارة صفة أخرى .

وفي مشهد آخر يقول : "تمادى السكون ،كفت أعواد الحطب عن الشكوى وهي تحترق في لهب النهار ،وكفت ألسنة اللهب عن الهرج تعبيرا عن فرحتها بعيدان الحطب وماتت القهقهات في صدور غوغاء الأزقة وتوقفت النساء عن الوشوشة بالنميمة والشائعات وابتلع الصغار صيحات الزعيق وتبددت التمتمات المبهمة شفاه الرضع ،وأقلعت الأنعام عن الاجترار".[3]

وبهذا استطاع الكوني في أكثر من موطن أن يقدم الأحداث المسرودة في شكل مشاهد موصوفة وصفا مرئيا بما في ذلك شخوص القصة فقد وصفها الكاتب وصفا دقيقا ملما بجزئياتها المادية من هيئة ولباس أو وضعية أو ركوب ومن ذلك قوله :"قضى نهارا كاملا وهو يعيد له ثياب الحلبة ،السرج صنعه أمهر الحدادة في غات ،والفرش كليمة مزركشة جاء بها التجار من توات والشكيمة ظفرتها عجائز قبيلة إيفو غاس في غدامس ، والجراب طرزته أنامل حسناوات تامنغست أما السوط فهو قطعة نادرة مغطاة بخيوط الجلد التي نقشت عليها تمائم السحرة في كانو".[4]

[1] - نفسه ، ص: 49.
[2] - نفسه ، ص : 19.
[3] - نفسه ، ص : 40.
[4] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 13.

ومن قوة الوصف هذه تتبادر إلى أذهاننا، بل ترتسم في مخيلتنا الصورة القائمة المغلفة بجو الرهبة والخوف عما يسمى "صحراء" هذه الملكة التي أحبها الكوني، المنذرة بالضياع والتيه، الواعدة بالعثور على الذات والكنوز الباطنية، يقول في وصف مشهد الكهف :"دخل أول كهف فوجده مفتوحا من جانبين، وبالرغم من الفوهة الجنوبية تواجه الريح إلا أنّ الكهف كان يحول الصهد القبلي إلى موجات باردة، الكهوف دائما باردة استلقى في جوفه الرملي البارد وراقب الجدران الشقية وهي تعبر من المدخل الشمالي لتجاوز الكهف المعتم، الممتد كالنفق ، إلى الناحية الأخرى في الجدران المواجهة حفر الأولون رسوماتهم الملونة في أعلى الرسوم في سقف الكهف الحجري سطر الأجداد بالتيفيناغ رموزا ونبوءات، تعاويذ سحرية، وإرشادات للباحثين عن آبار المياه "[1].

ومن المقاطع أيضا التي وظف فيها الكوني عدسته الوصفية حيث يرسم بالحروف ويصور بالكلمات نجد في رواية المجوس :"عن سلسلة أكاكوس المكابرة انفصل جبلان وتاها في الصحراء ـأحدهما استلقى جنوبا إلى جوار السلسلة الأم فبدا أقصر قامة من شقيقه الضال ، وإن جاراه في التطاول نحو السماوات ببناءين جبارين ،أما الجبل الشمالي الهاجع في الطرف الآخر من السهل فتشق قممه الحزينة الغامضة، ذات الأبراج الأربعة الفضاء في جلال."[2]

فمن هذا المقطع الأخير نزداد انبهارا بلغة الكوني السحرية التي استطاع بها أن يؤنس الجماد ويستنطق الحيوان بل يجعل للطبيعة روحا (جعل في وصفه للسلسلة الجبلية آنفا مشاعر بين ثلاثة إخوة).

[1]- إبـراهيم الكوني : المجوس ، ج 1 ، ص: 65.
[2]- نفسه ، ص : 08 .

*** تقنية توظيف المونولوج:**

المقصود بالمونولوج هو ذلك الحوار الداخلي الذي تلجأ إليه الشخصية من أجل تصوير ما بداخلها من انفعالات من فرح وحزن وشوق وعذاب وخوف ورعب ...،ولعل أهميته تكمن في كشف هذه العواطف والأفكار بل –وبطريقة غير مباشرة-تحمل سمات الشخصية ومميزاتها فهو يعبر ويرسم الشخصية ونجد الكوني في معظم رواياته يتناص في توظيفه لهذه التقنية، للتنفيس عن مشاعر شخصياته أو تجسيدا لأفكارها، يقول الكوني في رواية التبر: "يتلذذ بمحاورة نفسه في صورة السائل والمجيب، هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا أبلقا؟ ويجيب نفسه :لا،هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا في رشاقته وخفته وتناسق قوامه ؟لا...،هل سبق لأحدكم أن رأى مهريا ينافسه في الكبرياء والشجاعة والوفاء ؟لا، هل سبق لأحدكم أن رأى غزالا في صورة مهري ؟لا، هل رأيتم أجمل وأنبل ؟لا،لا،لا"[1]

ففي هذا المشهد الأخير يعبر المونولوج عن فخر أوخيد ومدحه لمهريه الأبلق، ومن هذا نستنتج مدى مكانة الأبلق العالية عند أوخيد، هذه المكانة التي ستدفعه ضمن أحداث الرواية إلى التحدي والتضحية من أجل هذه الوديعة النفيسة .

وفي مشهد آخر يقول الكوني :"وقف متفكرا محاولا أن يتذكر حيل الجن، خاطب نفسه :العجائز تؤكد أن الجن ليس كالإنس، لا خبث ولا حيل للجن ".[2]

فهذا المشهد يظهر الحالة النفسية التي عانى منها أوخيد عند شعوره بالخوف الشديد .

وفي مشهد آخر وبعد أخذ ورد وصراع طويل تعرض له أوخيد مع أبلقه حيث الدم والعرق والجهد والتعب يقول:"استجمع كل القوى الباقية كي يساير المهري في ركضه الخرافي، طمأن نفسه بمكافأة، قال لنفسه إنه سينال راحة بمجرد أن يحكم القيد "[3]

[1]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 07.
[2]- نفسه ، ص: 37.
[3]- نفسه ، ص: 44.

- وفي مشهد آخر، عندما أراد رهن الأبلق قال :"قال لنفسه انه سيكفل رزقا للعيال حتى يفتح الله:[1]

- وفي مشهد آخر يعاتب أوخيد نفسه مكلما ومحاورا لها بل ومعاتبا لها قائلا :"لقد نسيت، سهرت، لم أتأمل الإشارة في القاعدة المثلثة، كنت غافلا، كنت مريضا "[2].

وفي رواية المجوس وفي حديث أحد شخصياته مع نفسها تقول :"حالي كان مثل حال سكان الحمادة يعانون الجفاف حتى تموت ماشيتهم ويموتون وراءها وفجأة تنزل عليهم الأمطار حتى تجرفهم السيول وتقتل ماشيتهم، هم ميتون في كلا الحالتين ".[3]

ويقول في مشهد آخر في رواية المجوس على لسان أحد شخصياته مخاطبة لنفسها :"كيف لا يحق لي أن أشارك الأهالي الفرح، وقد أقمت لهم أرض السعادة وقدت واو الحقيقية واو الأرض إلى ديارهم، وجعلت منها قبلة تملك أكبر احتياط من الذهب كي يحج إليها أغنى التجار ويجلبون إليها أنفس البضائع في القارة ".[4]

ومن كل هذا وذاك يتبين لنا تناص الكوني في جل رواياته في توظيفه لتقنية المونولوج، هذا الأخير ساعد في الكشف عن خبايا شخصياته الروائية بل واستطاع أن يستنطق عقلها الباطني ويميط اللثام عن أفكارها وأحلامها مما ساهم في بناء عالم الرواية .

[1]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 89.
[2]- نفسه ، ص: 78.
[3]- إبـراهيم الكوني : المجوس ، ج1 ، ص: 174.
[4]- نفسه ، ص: 419.

1-ب-التناص الأدبي:

وهو أن يتفاعل الكاتب في نصوصه مع نصوص كتاب آخرين شعرا أو نثرا بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة على الفكرة التي يطرحها الكاتب ،ويكون هذا تلميحا أو تصريحا خفيا أو ظاهرا، ملفوظا أو مستنتجا من المعنى أو الموضوع، وسنركز في دراسة هذا الجزء على عدة نقاط هي :

1-ب-1-تناص الكوني مع الشعر .

1-ب-2-تناص الكوني مع النثر .

1-ب-1-تناص الكوني مع الشعر :

إن المتتبع للنتاج الأدبي في شقه الشعري يجد تقاطعا وانسجاما بين نص الكوني وما طرحه بعض الشعراء حيث تدخل روايات الكوني خاصة "التبر" و"الفزاعة" في عدة علاقات تناصية، تتراوح بين الحضور والغياب مستثمرة النص الشعري في أبعاده التخييلية وطاقته الترميزية، بشكل يثري النص الروائي، ويعمل على فتحه على قراءات تأويلية واسعة .

ولتتبع ذلك نتعرض إلى النماذج التالية:

***التناص مع الشاعر امرئ القيس [1]:**

تنفتح روايتا الكوني على شعر القدماء ويتجلى هذا الجانب في التناص مع الشاعر الجاهلي امرئ القيس، هذا الأخير الذي شغل الشعر والشعراء في كل عصور الأدب العربي، وله فيه مكانة كبيرة وذلك لغنى تجربته الأدبية والحياتية، وتكاد تكون شخصية امرئ القيس شخصية نموذجية في رحلة الشعر العربي القديم، وإبراهيم الكوني يستثمر ذلك في توظيفه لمحور الغربة في حياة الشاعر، يقول امرؤ القيس :

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

[1] - **امرئ القيس**: شاعر جاهلي .

ويجسد الكوني ذلك في تناوله في رواية التبر لعلاقة غريبة هي علاقة إنسان (أوخيد)بحيوان (الأبلق)،مما يشعر البطل نفسه (أوخيد)انه غريب الفكر، غريب الحياة حيث ضحى من أجل ذلك بالزوجة والولد ليعيش مع من أحب (حيوان،الأبلق)يقول الكوني :

" فرح الرجل ...قال:

-كنت أعرف أنك ستفعل ذلك، حسنا فعلت، كسرت القيد وفزت بالصديق، في عينيك وفي عينيه رأيت ذلك منذ أول يوم، السر في العينين.

ابتسم وأكمل :

-من يبدل زرافا كأبلقك هذا بامرأة حتى ولو كانت آلهة في الجمال مثل تانيت ؟

أستغفر الله ولكن كل شيء مكتوب على الجبين "[1]

وهذه الغربة شبيهة بغربة شاعر معاصر هو شاعر القضية الفلسطينية "محمود درويش" الذي يقول في قصيدة له، موسومة بعنوان "جدارية ":

يا اسمي سوف تكبر حين أكبر

سوف تحملني وأحملك

الغريب أخ الغريب[2]

وهذه الغربة -في الحقيقة- هي غربة اللااستقرار، غربة انشطار الذات، غربة الأرض والوطن .

كما نجد أن محور الغربة موازيا وملازما لمحور الرحلة، حيث رحلة الألم والمغامرة التي جسدها الكوني في تبره في رحلة "أوخيد "بحثا عن وسامة وأناقة الأبلق يقول :"وبلغ به عشقه

[1]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 124.
[2] -محمود درويش : جدارية،رياض الريس للكتب والنشر، 2001.

للأبلق أن قصد شاعرة معروفة من قبائل كيل أبادا،وطلب منها أن تقرض قصيدة مديح للمهري تمجد خصائله، وتطري مواهبه أسوة بالفرسان والأبطال من المحاربين ".[1]

وكذلك تجسدت الرحلة في البحث عن نبتة آسيار طلبا وسعيا في شفاء الأبلق الذي أصيب بالجرب في إحدى مغامراته الجنونية الغرامية يقول الكوني :"سافر إلى الحمادة الغربية، توجه إلى النصب الوثني القديم القائم بين الجبلين،ولم يكن يعلم أنه لو تأخر في سفره أياما أخرى لنجح الوالد في قتل الحيوان المريض "[2].هذه الرحلة التي جمعت التحدي بالمواجهة والويلات بالآهات وكانت نهايتها خصي الأبلق، والتي وصفها الكوني بأنها كانت وحشية،حيث يقول :"الخيط الذي شده إلى الأبلق في الرحلة الوحشية الأولى، فربط مصيره بمصيره،وعاد وشده إليه مرة أخرى في الرحلة الثانية الممتدة من فوهة البئر وسطح الماء"[3].

و يتناص الكوني أيضا مع عنترة ابن شداد في محاورة فرسه حين يقول عنترة :

ما زلت أرميهم بثغـــــرة نحـــــره ولبانــه حتى تسربل بالدمـــــي
فازور من وقـــــــع القنا بلبـــــانه وشكى إلى بعبرة وتحمحـمـــي
لو كان يدري ما المحاورة اشتكـــى ولكان لو علم الكلام مكلمـــي
ولقد شفى نفسي و أبرا سقمـــــــــها قيل الفوارس ويك عنتر أقدمي[4]

وفي نص الكوني نجد أوخيد يخاطب أبلقه ومثال ذلك :

"هذه نتيجة طيشك، ماذا كسبت الآن من مغامراتك "[5].

وفي موضع آخر نجد تناص المحاورة في قوله :

"آه من الداء يا أبلق، أرأيت ما يفعله الداء،...عانقه مرة أخرى، وهمس في أذنه:

-قطعنا نصف الشوط، اصبر، الآن سنقطع الجزء الباقي الأصعب بالنسبة إلي أنا لا أحزن

[1]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 12.
[2]- نفسه ، ص: 31.
[3]- نفسه ، ص: 57.
[4] - ينظر الموقع : www.nwaderuae.com ، شوهد يوم: 2012/12/09.
[5]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 24.

مثلك، سفحت كل مائي في الطريق المجنون، الآن ستنقذني".[1]

***التناص مع طرفة بن العبد :**

يتناص إبراهيم الكوني في حوار أوخيد عندما أراد مواجهة الموت (عند مواجهته لأعدائه رجال دودو الذين عذبوا الأبلق)مع طرفة بن العبد في مواجهته للموت هده المواجهة التي يعبر عنها طرفة بن العبد بقوله :

لخِولة أَطْلالٌ بِبرْقَةِ ثَهْمَدِ تَلُوحُ كَبَاقي الْوَشْمِ في طَاهِرِ الْيَدِ

وُقُوفاً بِهَا صَحْبي عَلَيَّ مطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لا تَهْلِكْ أَسَىً وَتَجَلَّدِ2

وقول الكوني في رواية التبر :"تدحرج عبر السفح، سلخته الأحجار ومزقت الصخور ثوبه، جردته حجرة ناتئة من عمامته، وصل الموقع ممزقا، مجرحا، حاسر الرأس.

وقف أمامهم، تفحصوه صامتين، تفحصهم صامتا...وضعوا القيود في يديه دون أن يتبادلوا كلمة ".[3]

وفي هذا الموقف يتناص الكوني أيضا مع الشاعر محمود درويش في قصيدته "جدارية "حيث يقول :

أيها الموت انتظرني خارج الأرض

انتظرني في بلادك ريثما انتهي

حديثا عابرا مع ما تبقى من حياتي[4]

وبخطى ثابتة نجد الكوني قد تناص في روايته مع سابقيه شعرا حيث أذاب جسد أفكارهم في تناوله لمواجهة الموت.

---

[1]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 49-50.

[2] - من معلقة الشاعر طرفة بن العبد.

[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 157.

[4] - محمود درويش : جدارية،رياض الريس للكتب والنشر، 2001.

***التناص مع مجنون ليلى[1] :**

يقيم الكوني في رواية التبر ومن خلال حكاية العشق جسورا من التناص ليس مع شعر مجنون ليلى فحسب بل مع حكاية عشقه الغريب، وهو بذلك يعيد علينا هذه القصة لكن بتعديلات يراها جزءا من رؤياه، يقول الكوني في الصفحة 103من التبر، "حياة العاشقين في الموت ،ولن تملك قلب الحبيب إلا بفقدان قلبك".

فإن كان قيس بن الملوح قد عشق ابنة عمه ليلى العامرية حتى الثمالة، منذ أن كانا صغيرين ، يرعيان الأغنام، فإن أوخيد قد عشق أبلقا منذ أن أهداه إياه زعيم قبائل آهجار"عند ما تلقاه هدية من زعيم قبائل آهجار وهو لا يزال مهرا صغيرا، يطيب له أن يفاخر به بين أقرانه في الأمسيات المقمرة "[2]

ويقول إبراهيم الكوني :"وبلغ به عشقه للأبلق أن قصد شاعرة معروفة من قبائل كيل أبادا وطلب منها أن تقرض قصيدة مديح للمهري "[3].

وإن كان العشق الأول مألوفا فإن الثاني غير مألوف، عشق البشر للبشر ليس كعشق البشر للحيوان ولكن من نقاط الائتلاف بين القصتين أن كليهما هو حب عذري نقيض الحب الحسي، حب يعلو ويسمو عن متطلبات الجسد والغريزة فالتوحد ليس جسدا بل روحا، يقول الكوني :"انطلقا متلاصقين، ثابتين، متكبرين، متناسقين، منسجمين، فعاش أوخيد في هذه المسافة القصيرة ..دهرا من السعادة "[4]

ومن نقاط التشابه بين القصتين أيضا أن قيس لم يوفق في حبه، وكذا أوخيد الذي حرم من لذة حبه لأبلقه حين فرق بينهما، فكانت بذلك نهاية كل من القصتين محزنة لكنها تحمل فداء وتضحية .

[1] - **مجنون ليلى** : هو قيس بن الملوح (645م688 - م)، وعشيقته كانت تسمى " ليلى العامرية".
[2]- إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 11.
[3]- نفسه ، ص: 12.
[4]- نفسه ، ص: 14.

يقول امرؤ القيس:

أليس وعدتني يا قلب أني إذا ما تبت عن ليلى تتوب

فها أنا تائب عن حب ليلى فما بالك كلما ذكرت تذوب[1]

ويقول أيضا :

فيــا ليت إذ حان وقت حمامها احكم في عمري لقاسمتها عمري

فحل بنا الفراق في ساعه معا فمت ولا تدري وماتت ولا ادري

التناص مع الشعر الأمازيغي :

لقد ضمن الكوني بنية نصه نصوصا شعرية بلسان أمازيغي مترجما إياها باللغة العربية على الهامش ، وهي في الحقيقة غناء شعبي بما يدل على مقصدية الروائي في تدخله الواضح في بناء النص، حتى ولو كان ذلك على مستوى الهامش والوظيفة التناصية المؤداة من خلال ذلك أيضا تكمن في القيمة البصرية والدلالية لهذه المقطوعات وما تحمله من لفت انتباه المتلقي وهي أيضا تعبير عن امتداد الزمن وارتباطه بالماضي و الحاضر والمستقبل .

يقول في الصفحة 12 من رواية التبر :" يختم مواله الحزين بالأبيات المعروفة :

آسد ينكرد أمود نكفي تيزداج.

إذ شاغت تاجنين يتجير نيمزاد

ويشرحها في الهامش أنها تعني :

"عندما أقبل أمود استقبلناه بمهاري الحرب وأعطيناه فرسانا لا يخطئون الهدف".[2]

ويعلق عليها بأنها: "مطلع قصيدة طويلة لتمجيد الزعيم أمود في حملاته لصد الغزاة الفرنسيين".[1]

[1]- ناصيف إميل :مجنون ليلى، منشورات جاروس- برس ، لبنان، (دط ،د ت)،ص :108.
[2] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 12.

ومن خلال التعليق نلحظ أن حذف اسم الشاعر في المتن له مقصدية حيث يذكر انه "زعيم" وله" قصيدة طويلة" وأنه بطل حرب يصد الغزاة، وهذه التقنية يعبر عليها سعيد علوش بقوله :" إذ تعمل تقنية حذف اسم الشاعر على حذف لمعلوم أو تشديد على مشهور القول "[2]

كما نجد الكوني بتوظيفه للسان الأمازيغي يزيد المعنى عمقا وتعبيرا وتأثيرا بل ويحيي من خلال ذلك التراث الأمازيغي الطارقي ومثال ذلك :

- الأسماء الأمازيغية :
- في رواية التبر:"أوخيد –أمود- أيور ، تانس ، تانيت، أخنوخن"
- في رواية الفزاعة:" إيمسوان وانضرن- أهلوم- أماسيس..."

- وأيضا ذكر الأماكن دلالة على الارتباط بالأرض وترسيخا للموروث الطارقي، ونشره وإحيائه ومثال ذلك:

- في رواية التبر نجد:" آهجار – غات – توات – إيفوغاس – غدامس – فاس .

كما أننا نجد، أحيانا يذكر جملا بالكامل باللسان الأمازيغي ويشرحها في الهامش مثل قوله: "أيخركن يقليد آنهي" [3] والتي تعني " من أضاع السبيل فليسترشد بآنهي"

ويقول أيضا:" إيجهان وتمغن تاغزيت آدسيردن آدونت سامان انسريان آستنكرم تجميم تالغا دغ سيغرن" [4]

ويشرحها في الهامش بقوله:" لا تنزل النبوءة سهلا لم يغتسل أهله بماء العزلة، فإن فرغتم ففتشوا عن اللغز في الأعواد".

وعموما فالكوني بتناص هذا يربطنا بالواقع الطارقي الأمازيغي وبتاريخه الطويل العريق وتراثه الثري.

---

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 12.
[2] - سعيد علوش: عنف المخيل الروائي في أعمال إميل حبيبي ، مركز الإنماء القومي، بيروت ، لبنان ، (د ط ، د ت) ، ص :53.
[3] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 12.
[4] - نفسه ، ص: 48.

1-ب-2- تناص الكوني مع النثر :

وفي هذا الجزء سنعالج نقطتين هما :

* التناص مع ألف ليلة وليلة من حيث تعدد الحكاية.

* التناص في تناول الصحراء كموضوع.

***التناص مع ألف ليلة وليلة من حيث تعدد الحكاية:**

في روايته "الفزاعة" ، وبتقنية توالد الحكاية وتناسلها وتداخلها يتناص إبراهيم الكوني مع "ألف ليلة وليلة " حيث تتفتت الحكاية وتتشظى على صفحات الرواية لتنتقل وتتنامى مكسرة النمطية الخطية ،ومنتقلة بين الماضي والحاضر، وذلك عند تطرقه في فصول الرواية التي قسمها إلى اثني عشرة فصلا معنونة كالآتي:

الفال- النبوءة – الفزاعة - العطايا – الشرائع – العماء- وانتهيط - الوباء- الغزوات- الحسناء- الصنم- القربان.

ومن حيث الحكاية فمن موت أغلوللي إلى البحث عن زعيم للواحة إلى الاستعانة بالساحرة وحلول البلاء في زمن هلاك النساء لتحل المجاعة بسبب الحصار وتحدث النهاية بقتل سكان الواحة وفي هذا المعنى نجد التشابه مع ألف ليلة وليلة التي تتوالد أحداثها وتتناسل من حكاية مركزية هي حكاية شهرزاد مع الملك شهريار، تقول الحكاية (**كنموذج من نماذجها**):

"وفي الليلة السابعة عشر بعد الثلاثمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد أن ذا الكراع لما نزل بذلك الوادي بات تلك الليلة هناك وتقرب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال: ما هذا العويل الذي فوق الجبل؟ فقالوا له: إن هذا قبر حاتم الطائي وإن عليه حوضين من حجر وصور بنات من حجر محلولات الشعور وكل ليلة يسمع النازلون هذا العويل والصراخ فقال ذا الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائي: يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماً فغلب عليه النوم ثم استيقظ وهو مرعوب وقال: يا عرب ألحقوني وأدركوا راحلتي ،فلما جاءوه وجدوا الناقة تضطرب فنحروها وشووا لحمها وأكلوه ثم سألوه عن سبب ذلك ،فقال: إني نمت فرأيت حاتم الطائي في المنام قد جاءني بسيف وقال: جئنا ولم يكن عندنا شيء وعقر ناقتي بالسيف ولو لم تنحروها لماتت.

فلما أصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من أصحابه ثم أردفه خلفه فلما كان في وسط النهار رأوا راكباً على راحلة وفي يده راحلة أخرى فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عدي بن حاتم الطائي ثم قال: أين ذو الكراع أمير حمير؟ فقالوا له: اركب هذه الناقة عوضاً عن راحلتك فإن ناقتك نحرها أبي لك قال: ومن أخبرك؟ قال: أتاني في المنام في هذه الليلة وقال لي: يا عدي إن ذو الكراع ملك حمير استضافني فنحرت له ناقته فأدركه بناقة يركبها فإني لم يكن عندي شيء فأخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حياً وميتاً. **وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح"**[1].

***التناص في تناول الصحراء كموضوع:**

إن المتأمل في خطاب الرواية العربية يجد حالة إبداعية واستجابة لنداء خفي لازم الروائيين في الحديث عن موضوع "الصحراء".

هذه الأخيرة التي نظروا إليها بأنها سر و طلسم لا يعرف أسراره إلا سليلي تلك المناطق وهوية إنسانية شبه مفقودة تفرض وجودها من قيمها ومبادئها وحتى من رمالها وأرواحها...

وفي هذا المجال يتناص إبراهيم الكوني في كتاباته عن الصحراء مع عدة كتاب نذكر منهم :

الكاتبة اللبنانية حنان الشيخ في عملها الموسوم "مسك الغزال"، والكاتبة المصرية ميرال الطحاوي في عملها المعنون بـ "الخباء "والكاتب الفلسطيني غسان كنفاني في عمليه :"ماتبقى لكم " ، و " رجال في الشمس " ، والكاتبة السعودية رجاء عالم في عملها الموسوم بـــ "حبي وسيدي وحدانة " ، والكاتب الجزائري رشيد بوجدرة في عمله المعنون بـــ " تيميمون " .

كما نجد أيضا ممن كتب عن الصحراء الروائي المشهور السوداني الطيب صالح في روايته " موسم الهجرة إلى الشمال " والتي قال أحد النقاد بأنها:" رسالة يحرض فيها على الانغماس في الأرض بما هي حجر وبشر وثقافة وتاريخ كرد على الهجرة "[2]

كما كتب وبأسلوب مغاير موسى ولد ابنه الموريطاني روايته "مدينة الرياح " والتي من مقاطعها قوله : " كنا رفضنا التقنية وعالمها لكي نحمي أرضنا ...وقع اتفاق مع الأمم المتحدة بموجه صنف المجدبة الكبرى منطقة دولية لتخزين النفايات السامة ... ونفونا جميعا نحو

[1] - ينظر الموقع : www.al-hakawati.net ، شوهد يوم : 2012/12/12.
[2] - سمير أبو حمدان : النص الموصوف (دراسات في الرواية) ، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع ، ط1، 1990، ص: 100.

المنطقة السياحية ... أصبحت أرضنا منذ وقت بعيد مستودعا للقمامات الدولية ...أنا نفسي مولود في مدينة الرياح ،بعد حادثة النفي بزمن ... الأرض لم يعد يسكنها إلا منبوذو ومستضعفو النظام الشمسي وضحايا التلوث والإشعاعات النووية .[1]

وأخيرا فالكوني بمعالجته للصحراء قد دخل في تناص أدبي مع تلك الأعمال التي نظرت إلى الصحراء على أنها الأصالة المتجذرة في الذات الصحراوية ،على أنها الأم، رياحها هواء، وحرارتها ماء ،ورملها ذهب ،وعشقها سكن القلب، يقول الكوني:" هي أرض الميعاد لأنها مسكونة بالله ولأنها رديف الحرية." [2]

[1] - موسى ولد ابنه : مدينة الرياح ، (رواية دار الآداب) ، بيروت ،ط1 ،1996، ص : 153.
[2] - إبراهيم الكوني : صحرائي الكبرى، (نصوص) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط1، 1998، ص: 108.

2-التناص الديني:

ويقصد به تداخل النص مع نصوص دينية عن طريق الاقتباس والتضمين ، ويكون ذلك من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف أو من الكتب السماوية المختلفة كالإنجيل والتوراة وفي هذا الإطار سأحاول التطرق إلى نقطتين هما:

2-أ- التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف

2-ب-التناص الصوفي

2-أ- التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف :

يعتبر القرآن الكريم النص المقدس الأعلى دينيا وبلاغيا كما أنه دستور البشرية الأعظم ،ووحي السماء الذي نزل به الروح الأمين على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- فكان أعظم معجزة لأعظم نبي،وأقل ما يوصف به هذا الكتاب أنه مثبت العقول ومداوي القلوب المريضة ،كما أنه يحيي الضمائر ويجلي صدأ الأرواح ، ويزيل ما ران على الأفئدة ، إذ لم يبلغ كتاب ديني أو دنيوي ما بلغه من البلاغة والبيان ، وجاءت آياته على أرقى مستوى في الأسلوب ، فكان حضوره لزاما في نصوص أغلب الأدباء والشعراء ، يأخذون من نصوصه الإبداعية ، ويطعمون أفكارهم منه بوعي أو بدون وعي مفجرين به النص بطاقات دلالية مكثفة ، إلى جانب الحديث النبوي الشريف الذي يعتبر النموذج الثاني في البلاغة والفصاحة ، يقول الجاحظ : " وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول ،وجمع له بين المهابة والحلاوة ،وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام .... "[1] ، كيف لا وهو صادر عن من أوتي جوامع الكلم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن هذا المنطلق نجد عند كاتبنا الروائي إبراهيم الكوني هذه المرجعية حيث نهل من المنبعين العذبين "القرآن الكريم والحديث الشريف"

وفي تتبع ذلك سنجد مساحة كبيرة للتناص مع القرآن والحديث ،وقد ارتأيت في تتبع هذه التناصات الموجودة في الروايتين التبر و الفزاعة أن أقترح جدولا يضمها ،بحيث قسمته إلى عدة خانات كما يلي :

- خانة النص الحاضر(وهو النص المكتوب في الرواية)

[1] - ينظر : الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، ج2، دار الجيل ، 1990، ص: 17- 18.

- خانة اسم الرواية ورقم الصفحة التي ذكر فيها النص
- خانة النص الغائب :وهو النص المقتبس منه (القرآن الكريم أو الحديث الشريف)
- خانة نوع التناص :هل هو من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف.

النص الحاضر	الرواية ورقم الصفحة	النص الغائب	نوع التناص
-تطرق إبراهيم الكوني في روايته الموسومة بـ **التبر** إلى قصة بطلها شخص يدعى **أوخيد** مع جمله الأبلق ، والأبلق هو جمل ينتمي إلى فصيلة الإبل النادرة ، وبذلك يصبح هذا الأخير محركا للأحداث، ويتناص هذا مع ما جاء في القرآن الكريم خاصة مع ناقة سيدنا صالح عليه السلام .	رواية التبر، (متن الرواية ككل).	روى القرآن الكريم قصة ناقة سيدنا صالح في أكثر من موقع ، ومثال ذلك : -" **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) /سورة القمر.**" - وجاء في موقع آخر قوله تعالى : **" كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**	تناص مع القرآن الكريم

	(152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158)/ من سورة الشعراء."		
"غمز بعينه المخفية في الكتان الأزرق الملاحظة أزعجت أوخيد"	رواية التبر، ص:14.	هذا النص يتناص بالنفي مع ما جاء في أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الناهية عن **التطير**، ومن ذلك : - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: ((لا عَدْوَى **وَلا طِيَرَةَ** وَلا هَامَةَ وَلا صَفَرَ، وفُرّ من المجذوم كما تَفرّ من الأسد))/صحيح البخاري في الطب 5707.	تناص مع الحديث الشريف
"حتى جاء يوم تفتق فيه الرتم عن زهوره الشجية" "تفتق الأفق عن ضوء الفجر "	رواية التبر، ص:17.	إن لفظة :**تفتق** تناص مع ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى :" **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (30)/ من سورة الأنبياء "**	تناص مع القرآن الكريم

"عقله في الوادي،وتركه يرتع بجوار الرتم الفواح"	رواية التبر، ص:17.	لفظة **"يرتع"** تناص مع ما جاء في القرآن الكريم حين الحديث عن قصة سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام: **" أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (12) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (13)/ من سورة يوسف . "**	تناص مع القرآن الكريم
"فطالما يتأفف الفارس من الدخول إلى بيوتنا من أبوابها فلا بأس أن يفعل المهري ذلك".	رواية التبر، ص:19.	تناص في المعنى (**من أبوابها**) مع القرآن الكريم ، حيث الآية : **" يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189) / من سورة البقرة ."**	تناص مع القرآن الكريم
ذكـــــر اســـــم الشيخ موسى فيـــه يتناص مع شخصية سيدنا موسى عليه السلام نبي الله . "الشيخ موسى يقرأ الكتب ويتلو القرآن ويؤم الناس في الصلاة."	رواية التبر، ص:22.	ويتمثل التناص في أن الشيخ موسى يتصف بالحكمة والرزانة والمعرفة والعلم ، جاء في القرآن الكريم ." **وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53) / من سورة البقرة ."**	تناص مع القرآن الكريم

يذكر قصة خروج سيدنا آدم من الجنـــة فيقول : "سيدنا آدم أغوته امرأته فلعنه الله وطرده من الجنة،ولولا تلك المرأة الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنعيم ونسرح في الفردوس" ولكن ذكر هذه القصة جاء محرفا ،بل الكوني يضع المرأة هي الشيطان، وهذا ما نستنتجه في جل أعماله الروائية.	رواية التبر، ص:24.	يتناص مع قصة خروج سيدنا آدم من الجنة لما أغواه إبليس- لعنة الله عليه- .لكن الكوني يأخذ الفكرة ويحورها بحسب نظرته للمرأة ، جاء في القرآن الكريم قوله تعالى : **" يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) / من سورة الأعراف."**	تناص مع القرآن الكريم
جاء في الرواية "فتحمل الآن واصبر"	رواية التبر، ص:24.	يتناص مع القران الكريم في موضوع الصبر : جاء في الآية الكريمة :**" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153) / من سورة البقرة ."**	تناص مع القران الكريم
"اصبر ،لقد اتفقنا أن السر في الصبر ،الحياة هي الصبر "	رواية التبر، ص:93.		
"اللهم احفظنا .. يا لطيف "	رواية التبر، ص:24.	يتناص الكوني في هذا المقطع مع الدعاء وهو من الدين الإسلامي ، قال تعالى :**" ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55)/ سورة الأعراف."** ويقول	تناص مع القران الكريم والحديث الشريف.

		صلى الله عليه وسلم:"الدعاء مخ العبادة"	
"كيف أنير عقلك إذا كنت أنا نفسي مثلك أحتاج إلي من يعينني عل تنوير عقلي؟ الغشاوة قدرنا"	رواية التبر، ص:25.	تناص الكوني في هذا المقطع في لفظة **"غشاوة"** مع قوله تعالى:" **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23) / من سورة الجاثية . "**	تناص مع القران الكريم
"الأبلق الآن لـــــــيس أبلقا ،اختفت البقع البديعة من الجسد الرمادي،اختفـــــت النظرة الذكية من العينـــين الساحرتين ،الـــــــــقوام الرشيق.الممشوق تحول إلى هيكل أسود مترهل مبقع بالظلمة،خيال شاحب وبائس لكائن آخر،سبحان الله كيف يصنع المرض مـــــــــن المخلوقات كائنات أخرى مختلفة ،المرض يصنع ذلك مع الناس أيضا ،المرض الطويل يفعل ذلك."	رواية التبر، ص:29.	يتناص الكوني هنا في التصور والفكرة مع قصة **سيدنا أيوب عليه السلام** الذي أنهكه المرض ،بل لم يترك له إلا القلب واللسان ،جاء في القرآن الكريم." **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) / من سورة الأنبياء . "**	تناص مع القران الكريم
		وأيضا في هذا المقطع تناص في عبارة **"سبحان الله"**وهي من الذكر ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلم - : " من قال حين يُصبح وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد، يوم القيامة، بأفضل مما جاء به. إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه " رواه مسلم	تناص مع الحديث الشريف

		.2692	
"ومسد الجلد المسود بالزيت ثلاث مرات في اليوم"	رواية التبر، ص:29.	تناص مع الآيات من حيث العدد **"ثلاث مرات".** جاء في الآية :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (58) / من سورة النور . "**	تناص مع القران الكريم
"قالوا إنه أحد الصحابة مات عطشا في الصحراء وهو يجاهد في سبيل الله .فقصده الرحل في الصحراء يأتون خلسة أو يجيئونه زمرا،ينحرون له القرابين ويسفحون دم النذور"	رواية التبر، ص:32.	في هذا المقطع أكثر من تناص ،ويظهر ذلك من خلال ذكر الكلمات : "يجاهدون في سبيل الله و "زمرا"مع الآيات:" **يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) / من سورة المائدة . "** والآية الكريمة **: " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) / من سورة الزمر. "** وهنا أيضا تناص من حيث الفكرة ،	تناص مع القران الكريم

		حيث يستدعي قصة كيف اتخذ الناس الأوثان والأصنام وعبدوها ، وفي ذلك جاء في الآية الكريمة : " **قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (71) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (72) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (73) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (74) /من سورة الشعراء .** "	
"يا ولي الصحراء إله الأولين أنذر لك جملا سمينا سليم الجسم والعقل ،اشف أبلقي من المرض الخبيث واحمه من جنون آسيار أنت السميع أنت العليم ".	رواية التبر، ص:33.	هنا تناص من خلال لفظة **النذر**، حيث جاء في الآية قوله تعالى : **" وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) / من سورة البقرة ."** وأيضا هنا تناص في (أنت السميع وأنت العليم) ، حيث جاء في الآية الكريمة :" **إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) / من سورة آل عمران ."**	تناص مع القران الكريم
" في الليل عندما توسد الحجر ونعس ،رأى الأبلق يغرق في الوادي .. ثم رأى لدهشته أن الماء الداكن يتحول إلى رجال شياطين	رواية التبر، ص:34.	تناص هذا المقطع مع رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام في المنام ،وقد تجسدت على الواقع ، جاء في الآية الكريمة :" **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي**	تناص مع القران الكريم

يشدون مهريه من ذيله إلى أسفل،عازمين ان يرموا به في هاوية ظلماء أفاق من نومه ورأى الوهج الأول يشق ظلمات الفجر.."		**سَاجِدِينَ (4) / من سورة يوسف ."** - والآية الكريمة **:" وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..(100) / من سورة يوسف."** - كذلك نجد أن رؤية أوخيد ستتجسد في آخر رواية التبر عندما يأتي رجال دودو ويقتلوا الأبلق حيث جاء في رواية التبر ص 143 قول الكوني " إذا جاء من آير أقارب الفتيل وانتشروا في الصحراء طلبا لرأسه"	
" فقال له العراف في الصباح اعد نفسك للرحلة إنها سدرة المنتهى"	رواية التبر، ص:35.	تناص في عبارة "سدرة المنتهى " التي ذكرها القرآن الكريم : **" وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) / من سورة النجم . "**، ويذكر أيضا الكوني بصريح العبارة في تهميش الصفحة أن **سدرة المنتهى** ذكرت في القرآن الكريم.	تناص مع القران الكريم
" الحزن اختفى من الحدقتين السوداوين ،الحمد لله"	رواية التبر، ص:38.	تناص مع الآية : **" الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) / من سورة الفاتحة . "**	تناص مع القرآن الكريم

" خفف يا ربي خفف يا ربي قوه على الجن "	رواية التبر، ص:39.	دعـــــــــاء ، والدعاء حث عليه القرآن الكريم والحديث الشريف.	تناص مع القرآن الكريم ومع الحديث الشريف.
"يا ربي أعطني قليلا من ألمه "	رواية التبر، ص:40.		
" ولكن الحيوان لم يلتفت لتوسلات صديقه في جوفه ألم أكبر من العقل ومن تحذيرات الأصدقاء في جوفه نار موقدة ".	رواية التبر، ص:42.		
" يا ربي زدني مزيدا من الصبر فيما تبقى من الرحلة "	رواية التبر، ص:43.		
" هل عين الحسد شريرة و قاتلة؟"	رواية التبر، ص:44.	تناص مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حول العين : (عن ابن عبـــــاس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : العين حق ولو كان شـــــيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا)أخرجه مسلم رقم (2188).	تناص مع الحديث الشريف
" مسكين الأبلق لو رأته أنثاه بهذه الحال لأنكرته إلى الأبد تفعل فعلتها ثم تنكر وتقول لا أنت مني ولا أنا منك كما يفعل الشيطان الرجيم مع البشر تماما" .	رواية التبر، ص:49.	تناص مع القصة القرآنية :" **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي**	تناص مع القرآن الكريم

	كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) / من سورة إبراهيم ".		
" في السقطة الأولى وجد نفسه في برزخ بين الوعي والغياب بين المـــوت والحياة."	رواية التبر، ص:52.	تناص مع القرآن الكريم في لفظة **البرزخ** التي تعني مقام العبور إلى الجنة أو إلى النار ، جاء في الآية الكريمة : **" وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) / من سورة المؤمنون . "**	تناص مع القرآن الكريم
" الموت أقرب من حبل الوريد حقا"	رواية التبر، ص:53.	تناص مع الآية :" **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) / من سورة ق ".**	تناص مع القرآن الكريم
" لقد نفذ الأبلق الوصية الصامتة ثم سحبه من اليم"	رواية التبر، ص:54.	تناص مع قصة سيدنا موسى عليه السلام ، جاء في الآية الكريمة : **" وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) / من سورة القصص ."**	تناص مع القرآن الكريم
"صمت الشاب طويلا قبل أن يقول : -لا أستطيع أن انفرد بالرأي لا أن استشير"	رواية التبر، ص:59.	تناص من حيث المعنى مع الآية الكريمة : **" فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159) / من سورة آل عمران."**	تناص مع القرآن الكريم

"استح والعن الشيطان"	رواية التبر، ص:61.	تناص مع الحديث الشريف: عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت) رواه البخاري.	تناص مع الحديث الشريف
"لا بارك الله لك فيها بهذه الوصية بعث له أبوه مع الشيخ موسى"	رواية التبر، ص:68.	تناص بالنفي مع **الدعاء للمتزوج** ، حيث جاء الحديث الذي نصه : عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال" بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير"صحيح سنن أبي داود ، الحديث رقم (2130).	تناص مع الحديث الشريف
"تمهل لا كما يجيب الأب يجاب"	رواية التبر، ص:68.	يتناص مع وجوب طاعة الوالدين ، حيث جاء في الآية الكريمة قوله تعالى : " **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)/ سورة الإسراء.**	تناص مع القرآن الكريم
"الولد الذي يجئ كي	رواية التبر، ص:101.	تناص مع معنى الآية الكريمة :"	تناص مع القرآن

يطوق عند الوالد ويديه ورجليه بقيد أقوى من الحديد لا يطوق أطرافه فقط وإنما يشل عقله ويحجب قلبه الأبناء حجاب الآباء الأبناء فناء الآباء ..."		**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28) / من سورة الأنفال ".**	الكريم
"ثلاث ليال متتالية رأى البيت المهدم"	رواية التبر، ص:133.	تناص مع قصة سيدنا زكرياء في القرآن الكريم ، حيث جاء في الآية الكريمة قوله تعالى :" **قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (10) / من سورة مريم ."**	تناص مع القرآن الكريم
" ولم يمش في الصحراء بخيلاء ظانا أنه سيبلغ الجبال طولا "	رواية الفزاعة، ص:15.	تناص مع معنى الآية :" **وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37)/ من سورة الإسراء.**	تناص مع القرآن الكريم
" في ذلك اليوم نطق اللسان بالإثم قائلا : أنا سلطان الأرض ، أنا سيد الكائنات "	رواية الفزاعة، ص:15.	تناص مع قصة فرعون عليه اللعنة ، حينما تكبر وتجبر مدعيا الألوهية ، جاء في القرآن الكريم :" **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (15) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (16) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (17) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (19) فَأَرَاهُ الْآَيَةَ الْكُبْرَى (20) فَكَذَّبَ وَعَصَى (21)**	تناص مع القرآن الكريم

		ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (22) فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (26)/ من سورة النازعات.	
" ولما وجدوا السعادة أصعب منالا من إدخال رقبة البعير في سم الإبرة "	رواية الفزاعة، ص:23.	تناص مع الآية : **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40)/ من سورة الأعراف.**	تناص مع القرآن الكريم.
" وتفاخروا ببهائه كما يتفاخرون بالأموال والأولاد "	رواية الفزاعة، ص:33.	يتناص مع الآية:" **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (20)/ من سورة الحديد.**	تناص مع القرآن الكريم
"تكيد لك الأركان كلها لتقول لك إنك مخلوق زائل "	رواية الفزاعة، ص:52.	تناص مع الآية الكريمة:" **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ "(27)/ من سورة الرحمان**	تناص مع القرآن الكريم
" فيظن البلهاء الذين لم يظنوا يوما أن في دنيا	رواية الفزاعة،	دلالة على وجود الإنس والجن ، تناص مع الآية التي تثبت ذلك، يقول الله	تناص مع

الصحراء خلقا يمكن أن يشاركهم امتلاك الصحراء "	ص:59.	تعالى :**"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" (56)/ من سورة الذاريات .**	القرآن الكريم
"تخلوا عنه وانفضوا من حوله"	رواية الفزاعة، ص:97.	تناص من حيث لفظة (انفضوا) مع القرآن الكريم ، جاء في الآية الكريمة:" **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11) /من سورة الجمعة ".**	تناص مع القرآن الكريم
"اقترب منه تايتي مستفهما فقرعه باستياء : ألا تعرفون أن عدو النار الماء وليس الحبال؟"	رواية الفزاعة، ص:103.	تناص مع الحديث الشريف : عن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال :الحمى قطعة من النار فأطفئوها عنكم بالماء البارد. وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم - إذ حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل.	تناص مع الحديث الشريف
"لأن المرأة إذا كثرت في أرض كثرت فيها الفتن "	رواية الفزاعة، ص:145.	تناص مع الحديث الشريف ((حدثنا حفص بن عمر الحوضي حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال لأحدثنكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال **ويكثر النساء** حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد ")) رواه البخاري رقم 4933.	تناص مع الحديث الشريف
"أمر الزعيم بإحضار	رواية الفزاعة،	تناص مع قصة سيدنا موسى مع الملك	تناص مع القرآن

ملل العـــــــرافين الذين عـــرفتهم الـــــواحة ووضـــع فـــــي أيديهم الرسالـــــــة ووقـــــف فوق رؤوسهم ينتظر التأويل... " طاف النذير الطرقات وعبر أسواق القوافل العابرة صائحا بالنداء ملوحا بوعد مولاه في الجود بالعطاء على من وجد في نفسه كفاءة حقيقية لقراءة رسالة زعيم الأغراب"	ص:146. رواية الفزاعة، ص:154.	الذي رأي المنام وأراد تأويله : حيث جاء في الآية الكريمة :" **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) / من سورة يوسف** ".	الكريم
"واعلم أن مصير هذا الوطن الذي أطمعك من جوع وآمنك من خوف كما أطعم وآمن الكثير قبلك مخبوء في اللغز اللعين الذي تمسكه بين يديك ،فاحترس" "من بايعني على السراء والضراء أطعمته من جوع وآمنته من خوف"	رواية الفزاعة، ص:156. رواية الفزاعة، ص:191.	تناص مع الآية الكريمة :" **الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4) / من سورة قريش** ".	تناص مع القرآن الكريم
"ما على الرسول إلا	رواية	تناص مع القرآن الكريم : " **قُلْ أَطِيعُوا**	تناص

البلاغ"	الفزاعة، ص:157.	**اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (54) / من سورة النور ".**	مع القرآن الكريم
"الإنسان من بدايته ضحية بئيسة لانتقام سابق، وعليه أن ينتقم أيضا ،عليه أن يعجل بالانتقام إذا شاء ألا يقع ضحية انتقام آخر، فليدغ من جحر مرتين."	رواية الفزاعة، ص:191.	تناص بالنفي مع معنى الحديث الشريف: عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ قَالَ : "لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ " **رواه البخاري برقم 83، ومسلم برقم.7690**	تناص مع الحديث الشريف

2-ب- التناص الصوفي :

إن الكلام عن التناص الصوفي يدفعنا للحديث عن الصوفية ، هذه الأخيرة التي تعني من ناحية اللغة الصفاء والصف والصفة والصوف والصفوة .

وأيضا مأخوذة من كلمة :" سوفوس أو صوفيا اليونانية التي تعني الحكمة "[1].

ومن ناحية المفهوم هي عبارة عن مذهب يقوم على مجموعة من المبادئ والأفكار والمصطلحات والصفات والأحوال والطرق والمراتب والمقامات .

ويجيب أبو علي الروذباري عندما سئل عن الصوفي بأنه "من لبس الصوف على الصفاء ،وأطعم البطن إطعام الجفاء ،وترك الدنيا خلف القفا ،وسلك سبيل المصطفى -صلى الله عليه وسلم –"[2].

وعند إبراهيم الكوني الصوفية أحد مكونات العمل الروائي ،حيث الصحراء "المكان المناسب لظهور الصوفية ، فهي بامتدادها وبداية الحياة فيها ، وبعدها عن الحياة الصاخبة ومراكز التجمعات البشرية تشكل مكانا خصبا لهذا النمط من النشاط الروحي الذي تمارسه مجموعة من الناس تقطع صلتها بملذات الحياة الدنيا "[3].

ومن خلال الروايتين التبر و الفزاعة سنحاول التوقف عند هذا التحاور والتفاعل والتقاطع الصوفي بالتحليل والتمثيل في نقطتين هما:

2-ب-1-شخصية الشيخ موسى

2-ب-2-مصطلحات الصوفية في سياق نص الكوني .

[1] - محمد بن بريكة : التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان ، دار المتون ، الجزائر ، ط1، 2006، ص : 49.
[2] - أبو بكر محمد الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق : محمود أمين النواوي ،المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط3، 1992، ص : 32.
[3] - محمد رياض وتار : توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات إتحاد الكتاب العربي ، 2002، ص : 222.

2-ب-1-شخصية الشيخ موسى :

لعل أهم ما يشدنا في نص الكوني توظيفه لشخصية "الشيخ موسى" توظيفا رمزيا مكثفا حيث دلالة لفظة "الشيخ" ودلالة لفظة "موسى" فالأولى تطلق على من عمر زمنا طويلا مما يستوجب تملكه للخبرة والحكمة والتجريب والثانية لفظة "موسى" وما تحمله من تناص تاريخي ديني ، حيث تربطنا بشخصية سيدنا موسى عليه السلام النبي الرسول كليم الله ، وفي متن رواية "التبر" نجد بعض هذه الصفات ، حيث الشيخ موسى هو المستقطب لشخصيات الرواية الأخرى ، بل هو الناصح والحكيم ، يقول الكوني : " الشيخ موسى يقرأ الكتب ، ويتلو القرآن ، ويؤم الناس في الصلاة " [1]

والشيخ موسى ينتمي إلى أحد بطون الصوفية فهو "من أتباع القادرية "[2] ،والقادرية طريقة صوفية " نسبة إلى العالم الإسلامي عبد القادر الجيلاني الذي أسس أحد أهم المذاهب الصوفية في القرن الثاني عشر الميلادي "[3].

والطريقة في المفهوم الصوفي تعني " مجموعة الآداب والأخلاق والعقائد التي تتمسك بها طائفة الصوفية "[4]

وعند الغزالي هي:" تطهير محض من جانب السالك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار "[5]

والطرقية أنواع منها:" الشاذلية ،الرفاعية ،التيجانية(نسبة لأحمد التيجاني 1150هـ /1232 هـ) ، النقشبندية."[6]

ويربط الكوني نصه بالطرقية فيقول :" هل هذا ما يراه السكارى بالوجد؟ هل هذا ما يسميه شيوخ التيجانية لقاء القدر؟"[7]

وبهذا التناص يفجر الكوني نصه بدلالات مكثفة تزيد المعنى قوة والتأويل اتساعا .

---

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 22.
[2] - نفسه ، ص: 58.
[3] - نفسه ، ص: 57.
[4] - عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية في علم التصوف ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دت، ص : 07.
[5] - أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1986 ، ج1 ، ص: 52.
[6] - محمد بن بريكة : التصوف الإسلامي ، ص : 298-299.
[7] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 57.

2-ب-2-مصطلحات الصوفية في سياق نص الكوني:

لقد تناص الكوني نصيه التبر والفزاعة بالصوفية حيث وظف المصطلحات والرموز الصوفية في سياقات كثيرة سأحاول توضيحها في الجدول الآتي:

النص الحاضر	الرواية ورقم الصفحة	النص الغائب (المصطلح والمفهوم الصوفي المتناص معه)
"فاتهمهم شيوخ القادرية بالبدع وناصبوهم بالعداء"	رواية التبر، ص:57.	يطرح فكرة صراع الطرق الصوفية من : تيجانية وقادرية... ويذكر أيضا أن للصوفية عدة طرق.
"لأن أهل العزلة جربوا من قديم أن الانقطاع سر يسرق المريد من نفسه ويطوح من تعشقه إلى دنيا تستطيع أن تذهب بحقول ضعاف النفوس "	رواية الفزاعة، ص:97.	يذكر أحد مقامات الصوفية وهو**"المريد"** ،والمقام الصوفي يعني "المنزل أو الدرجة من سلم الذوق الروحي القلبي الإيماني "[1] والمقامات عشرة هي: " المريد ، العابد ، المنيب ، المنير ، الزاهد ، المتقي ، المخلص ، الأواب ، المقرب ، الصديق " [2]
"ولكن مع فيض الألم تدفقت الذكريات "	رواية التبر، ص:111.	تناص مع كلمة **"فيض"** حيث في لحظة الفيض الصوفي يتدفق النور الرباني ،والفيض هو "ثمرة التجلي الإلهي" [3]
"آه من الإشارة ما أكثر ما يخشى	رواية التبر، ص:117.	يوظف لفظة" الإشارة" وهي من

[1] - محمد بن بريكة : التصوف الإسلامي (من الرمز إلى العرفان)، ص : 321.
[2] - نفسه ، ص: 324.
[3] - نفسه ، ص : 226.

هذه اللغة " " ولكن آهلوم استمهله بإشارة من يده وخاطب كبير التجار بلهجة من أبصر في البعد رسول البشارة "	رواية الفزاعة ، ص:28.	مصطلحات الصوفية .
"الولي أعلن عن نفسه وحذر طلب التعجيل بقربانه" . " يا ولي الصحراء ... أنذرك جملا سمينا"	رواية التبر، ص:67. رواية التبر، ص:33.	-توظيف لمصطلح "القربان"و مصطلح " النذر" . - كما وظف مصطلح "الأولياء "وهو أحد مراتب الصوفية التي من بينها:" أكابر الأولياء ،الأفراد، الأبدال .."
"الرقص، الرقص أنت لم تجرب الرقص ،سوف يغنيك عن الحب، صدقني ستطير في الهواء ،وتعبر السماوات ،أفضل من الجري خلف النوق". "التدريب على الرقص في حضرة الحسان مهمة الفرسان في الصحراء" .	رواية التبر، ص:61. رواية التبر، ص:12.	-وظف مصطلح "الرقص" حيث في حضرة الرقص ينتقل الإنسان من الوعي إلى اللاوعي ، وفي اللاوعي يغادر المكان الحقيقي حيث الرحلة الذهنية الروحية ،وحيث الاستغراق في عالم آخر فيحدث الغياب .
"انطلق الجمل تجاه القمة ... دخل في أدغال الشوك ومزق جسده فنز المزيد من الدم من أطراف أوخيد أيضا تفصد الدم إذا اختلط الدم بالدم واتحد الجسد بالجسد ختم العهد بالأخوة الأبدية " . " ويحيطه أوخيد بذراعيه	رواية التبر، ص:50. رواية التبر، ص:30. رواية التبر، ص:127. رواية التبر، ص:15. رواية التبر،	وهذا ما يعبر عنه في الصـــــوفية بـــ" **الحضرة** " ، حيث تتوحد الذات الصوفية مع الذات الإلهية، فيحدث الذوبان الروحي ،ويصل الصوفي إلى درجة الحلول والاتحاد، وهذه الفكرة من أهم أساسيات الصوفية، حيث الصوفية "تستمد

ويبكيان معا " "الصحراء وحدها تغسل الروح، تتطهر ،تخلو ،تتفرع ،تتفضى ، فيسهل أن تنطلق لتتحد بالخلاء الأبدي ،بالأفق" . " صرعوهما معا في ساحة الرقص" . " وانطلقا متلاصقين ، ثابتين ، متناسقين ، منسجمين "	ص:14.	مصدر طاقتها من التسامي الروحي عن طريق تلاشي الوجدان البشري في الكينونة الإلهية المطلقة " [1] **والحضرة** "خمسة حضرات : - حضرة الغيب المطلق : عالم الأعيان الثابتة . - حضرة الشهادة المطلقة : عالم الملك . - حضرة الغيب المضاف : عالم الأرواح. - حضرة المثال : عالم المجردات. - الحضرة الجامعة :عالم الإنسان بجميع العوالم السابقة "[2]
يسمي الفصل السادس من الفزاعة بـــــ **" العماء"**	الفصل السادس من الفزاعة .	- **العماء**: عند الصوفية هو : "حضرة الواحدية التي هي منشأ الأسماء والصفات قال ابن عربي: العماء أصل الأشياء والصور كلها ، وهو أول فرع ظهر من أصل " [3]
" بلغ به عشقه للأبلق أن قصد شاعرة معروفة " " فعاش رهين الرقص والوجد والشوق المجهول ، وأحس أن الأبلق البهي يشاطره نفس الأحاسيس	رواية التبر، ص:12. رواية التبر، ص:15. رواية التبر،	وجود بعض المصطلحات الصوفية : العشق ،الوجد ، الشوق ، الجذب.

[1] - عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل ،دار الوصال ،ط1، 1994،ص : 53.
[2] - محمد بن بريكة : التصوف الإسلامي (من الرمز إلى العرفان)، ص: 222.
[3] - نفسه ، ص : 244.

الشجية حتى بلغا الحلقة " " كما يفعل الرجال المقيدون بالوجد في حفلات السمر الليلية أو الدراويش من أتباع الطرق الصوفية الذين يطوفون على النجوع ، ويهيمون في البرية ، يضربون الدفوف ويجذبون طوال الليالي " " وربما جذب أهل حنين وقعوا صرعى وجد ساعة الغناء " "فوجد نفسه يترنح كأهل الوجد "	ص:24. رواية الفزاعة، ص:61. رواية الفزاعة، ص:107 .	
" العشبة تنمو إلى رتمة والرتمة تزهر ، والزهرة تتحول إلى ثمرة ، والثمرة تعود إلى بذرة وتسقط على الأرض " "أعقب الرجة صخب ، أعقب الصخب نشاط ، أعقب النشاط نداء "	رواية التبر، ص:56. رواية الفزاعة ، ص:88.	وهذا شبيه بالانتقال التدريجي في مقامات الصوفية حتى الوصول إلى السقوط الذي هو "الغياب النهائي ".
- "وامتنع عنه الإلهام ". - "ولكن الإلهام مات والإيماء ما لبث أن انطفأ ،انطفأ الإيماء فزال الضياء"	رواية الفزاعة، ص:56. رواية الفزاعة، ص:99.	يتناص مع مصطلح **الإلهام** في الصوفية .

3-التناص الأسطوري :

يعني التناص الأسطوري استدعاء الكاتب لبعض الأساطير القديمة وتوظيفها في سياقات نصوصه لتعميق رؤية معاصرة يراها الكاتب قضية مهمة فيما يطرحه ،وكاتبنا إبراهيم الكوني لجأ إلى تطعيم نصه بكل ما من شأنه أن يجعله جذابا للقارئ ومشوقا لمتابعة حكيه ، ومن ذلك توظيفه للأسطورة ، باعتبارها " وسيلة حاول الإنسان عن طريقها أن يضفي على تجربته طابعا فكريا ،وأن يخلع على حقائق الحياة معنى فلسفيا ،وبدون هذه الصورة الأسطورية تكون التجربة مهوشة ،كما أنها تقتصر على كونها مجرد ظاهرة ،ولا تكون للأسطورة قيمة إلا إذا كانت مكتملة ، كما أنه لا تكون لأجزائها أهمية إلا بقدر ما تفصح عن الفكرة الرئيسية"[1].

وتقوم الأسطورة على فكرة التجاوز مرتبطة بالمجاز الذي هو عبور من الجسدي إلى المجرد ،ومن الواقعي إلى المتخيل ،ومن المعقول إلى اللامعقول.

والأسطورة بالعودة إلى اللغة نجدها في لسان العرب من مادة "س ط ر" ، والسطر هو الصف من الكتاب والشجر والنخيل ونحوها .. والجمع من ذلك أسطر وأستطار وأساطير،يقال بنى سطرا ، وغرس سطرا ، والسطر الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر ، والأساطير :الأباطيل ، والأساطير : أحاديث لا نظام لها ، واحدتها اسطار واسطارة بالكسرة وأسطور وأسطورة بالضم، وسطرها: ألفها ،وسطر علينا، أتانا بالأساطير[2] .

ومن ناحية المفهوم فالأسطورة تتعدد مفاهيمها ،فهي " حكاية تقليدية مقدسة ملأى بالخوارق التي لا يتقبلها العقل المنطقي ،فهي أقرب ما تكون إلى الخرافة لولا أنها مقدسة ،أي أنها محل اعتقاد من أحد"[3].

وهي أيضا :" رواية أفعال إله أو شبه إله ... لتفسير علاقة الإنسان بالكون أو بنظام اجتماعي بذاته ،أو عرف بعينه أو بيئة لها خصائص تتفرد بها "[1].

---

[1] - نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مكتبة غريب، القاهرة، ط3 ، ص : 18.
[2] - ابن منظور : لسان العرب ، ص: 363.
[3] - محمد عجينة : موسوعة أساطير العرب الجاهلية ودلالاتها ، دار الفرابي ، بيروت ، دط، 2005، ص : 24.

ويذهب آخرون على أنها :" محاولات الإنسان الأولى كي ينظم تجربة حياته في وجود غموض خفي ، لنوع ما من النظام المعترف به "[2]

ويرتبط الإنسان بالأسطورة ارتباطا وثيقا ،بل هو " سبيل ذلك الإنسان المتدين القديم صانع الأساطير ،وهو إذ يدير ظهره اليوم لبعض الأساطير التي فقدت القدرة على الإيحاء إنما يعمل فقط على استبدالها بأخرى مزيفة ،واستبدال طقوسه الوثنية بطقوس حديثة عابثة عساها ترضي ذلك النزوع الأسطوري الجارف لديه"[3] .

أما علاقة الأسطورة بالأدب فهي علاقة وطيدة ، خاصة مع القصة أو الرواية ، فكلمة " ميثولوجيا " في حد ذاتها تبين ذلك ، " ميثولوجيا : مشتقة من الأصل اليوناني (muthos)والذي يعني فن رؤية القص "، وأيضا التشابه بين الأسطورة والأدب يزيد هذا التبيين ، حيث يلتقي الأدب بالأسطورة في عدة نقاط منها :

- أن كليهما نشاط فكري
- كما أنهما يعملان في حقل متشابه هو الخيال.

وقد تتداخل الأسطورة بالخرافة ، لكن الفرق بينهما يراه البعض في طبيعة الشخصية الأساسية للحكاية ،" فكلما تعلق الأمر بالكائن العلوي كالآلهة كانت أسطورة ،أما إذا كان البطل كائنا سفليا كالإنسان صار الشكل خرافة"[4]

وللأسطورة عدة خصائص منها الاعتماد على الترميز وعلى الإشارة .

ومما يلاحظ عند الكوني –كما سبق الذكر- أنه شكل من الأسطورة مادة طيعة صاغ بها رؤياه وأفكاره ، بل وظفها توظيفا مقصودا ، ليعود بنا إلى العصور الغابرة ،وهذه العودة

[1] - نضال الصالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 2001، ص: 11.
[2] - نفسه : ص : 11.
[3] - فراس سواح : الأسطورة والمعنى ، دار علاء ، دمشق ، سوريا ، ط1، 1997، ص : 32.
[4] - نواري سعودي : الخطاب الأدبي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1، 2005، ص : 116.

ليست عودة إلى البداية بقدر ما هي "محاولة لتملك الواقع تملكا سحريا يمكن من احتمال الراهن من جهة، ومن مواجهة المستقبل من جهة ثانية"[1] .

وفي هذا الإطار سنحاول الكشف عن نقطتين هما:

3 -أ- أسطرة الحيوان وثنائية (الحية ،الأنثى).

3-ب- أسطرة المكان وثنائية (المكان ،الآلهة).

3-أ- أسطرة الحيوان وثنائية (الحية ،الأنثى) :

تناول إبراهيم الكوني في نصه (التبر و الفزاعة) وفي سياقات مختلفة حيوان "الحية" موظفا إياه كرمز تناولته الكتب السماوية كما تناولته الأساطير الأولى ،في إشارة لقصة الخديعة وخروج الإنسان من الجنة.

تقول القصة " أن إبليس – لعنه الله – أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء ،فمنعه الخزنة من ذلك ...فذهب إلى الطاووس وكأنه سيد طيور الجنة يتحايل عليه ليدخله في الجنة ، فدله على "الحية "،لأنها أقدر على ذلك، وكانت من خزان الجنة ... فأدخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون ... وأدخلته الجنة " .[2]

وأيضا جاء في الكتاب المقدس : " وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله " .[3]

وجاءت الحية في الإنجيل باسم الشيطان : "إنه التنين العظيم الحية القديمة المدعوة إبليس الشيطان الذي يظل العالم ".[4]

[1] - نضال الصالح : النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة ، ص : 97.
[2] - ينظر :الثعلبي : قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (دط ، دت) ، من ص 30 إلى ص 34 .
[3] - سفر التكوين : الإصحاح الثالث .
[4] - سفر أعمال الرسل:الإصحاح الثاني عشر.

والكوني في روايتيه التبر و الفزاعة استغل "الحية "، ووظفها ليبرز شر الشيطان وغوايته ، بل ربط ذلك بالأنثى التي يرى بأنها سبب البلاء ،يقول : " الأنثى هي السبب ! هي السبب دائما ".[1]

ويقول في الفزاعة : " إن المرأة كالحية لن تأمن شرها أبدا ".[2]

ونظرة الكوني للأنثى كنظرته للحية يقول : في سياق مخاطبة أوخيد للأبلق "فهمت ، تريد أن تقول إن الأنثى أجمل ، لا ، لا ، لا تخطئ ، بالله ، جميلة حقا ، ناعمة حقا ،كالأفعى ، ولكنها تلدغ كالأفعى أيضا ".[3]

واستنادا على أن الحية هي إبليس فإن الأنثى أيضا ملعونة كإبليس يقول الكوني :" لو رأته أنثاه بهذه الحال لأنكرته إلى الأبد ، تفعل فعلتها ثم تنكر ، وتقول لا أنت مني ولا أنا منك ، كما يفعل الشيطان الرجيم مع البشر تمام ، لعنهما الله معا ، الشيطان والإناث ، بل من هي الأنثى إن لم تكن شيطانا رجيما".[4]

ويقول في موضع آخر : " لعن الله الأنثى " ويكرر ذلك مرة أخرى :" لعن الله الأنثى".[5]

بل ويربط الكوني ذلك حتى في بداية الخلق عندما أخرج سيدنا آدم -عليه السلام- من الجنة بسبب إبليس ، لكن الكوني بحكم تصوره أن الأنثى تشبه إبليس يروي رواية خروج سيدنا آدم من الجنة ويذكر أن السبب هو الأنثى ؟!

فيقول :" الأنثى أكبر مصيدة للذكر ، سيدنا آدم أغوته امرأته ، فلعنه الله وطرده من الجنة ، ولولا تلك المرأة الجهنمية لمكثنا هناك ننعم بالنعيم ونسرح في الفردوس ،في الحفر دائما تختبئ الأفاعي والعقارب ".[6]

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 16.
[2] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 147.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 61.
[4] - نفسه ، ص: 49.
[5] - نفسه ، ص: 30.
[6] - نفسه ، ص: 24.

ويدافع الكوني عن فكرته ضد الأنثى ، ليجسد أن الأنثى سبب اللعنة عندما يجعلها سببا في العقوبة ، ففي رواية التبر يروي أن أيور زوجة أوخيد قتل بسببها دودو عشيقها ، وزوجها أوخيد أيضا ، الأول الذي تحايل على أوخيد وأراد الظفر بأيور ،والثاني دفاعا على شرفه (شرف زوجته أيور) ، يقول الكوني :" جاءت الحسناء من آير مع أقاربها ، هربا من الجدب الذي حاق بتلك الصحراء في السنوات الخمس الأخيرة ، وبرغم أن البلاء كان باديا على الحيوانات البائسة إلا أن الحسناء لم تنقصها النضارة ، ولم يفقدها طول الطريق البهاء ، وإلى جانب جمالها تمتعت بروح مرح وجاذبية ، هذه الجاذبية هي التي صرعت أوخيد في أول لقاء "[1].

ويواصل تعليقه عن هذه الجاذبية حينما يقول :" الجاذبية ، أه من جاذبية الأنثى ، إنها ذلك الجانب الخفي في المرأة ، إنها واضحة وبسيطة مثل الصحراء ، ولكن ثمة شيء يفوقها غموضا وخفاء ، إنها همهمات الجن "[2] .

والمخطط الآتي يوضح ما أحدثته الأنثى في رواية التبر مثلا :

الأنثى (الناقة) ـــــ أوقعت ـــــ الأبلق ـــــ النتيجة ـــــ الجرب ـــــ ثم ـــــ خصي الأبلق .

الأنثى (أيور) ـــــ فتنت ـــــ أوخيد ـــــ النتيجة ـــــ عق والده ـــــ ثم ـــــ طرد من القبيلة .

فالأنثى عنده رمز للخفاء ، رمز للجن ... رمز للغواية ، وإشارة للعقوبة والبلاء والفتن .

يقول الكوني : " الأنثى نفسها التي كانت سببا في بلاء الأبلق "[3] ، ويقول أيضا :" لأن المرأة إذا كثرت في أرض كثرت فيها الفتن ".[4]

وأخيرا استطاع الكوني في ثنائية (الحية ، الأنثى) أن يتخذ من الأنثى أسطورة ، ترجعنا إلى منابع الموروث الثقافي ، إثراء لنصه ، وتشويقا للقارئ ، ودفاعا عن أفكاره ، رأى أن يدافع عليها في التبر والفزاعة في فكرة مفادها قوله : " هل آمنوا أخيرا أن المرأة في كل

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 68.
[2] - نفسه ، ص: 68.
[3] - نفسه ، ص: 74.
[4] - إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، ص: 145.

الأحوال بلاء في بلاء ".[1] وقوله :" رأس الحكمة ألا تصدق امرأة ، رأس الحكمة ألا تثق بامرأة أبدا".[2]

3-ب- أسطرة المكان وثنائية (المكان ، الآلهة) :

إذا كانت الصحراء مكانا جغرافيا يرمز إلى صعوبة الحياة وقسوتها ، فإن الكوني في روايتيه التبر والفزاعة استطاع أن يصوغ نموذجا آخرا للمكان ،حيث جعل الأخير يرتبط بالدهشة والإعجاب من جهة ، ويحكي أسرار القدماء من جهة أخرى .

وفي تناوله هذا صور المكان كأسطورة ، يقول الكوني : " في مدخل الجبلين المتقابلين ، في خلاء لا ينتهي ، وقف نصب المجوس في صدر ربوة وحيدة في الزمان القديم لم يضنوا أنه صنم ، كان الضريح مزارا للجميع ... حتى جاء العراف الوثني من كانو ... العراف المخيف أول من حطم الأسطورة وقرأ الرموز المحفورة على قاعدة الصنم ، قال إنه اللقب لإله صحراوي قديم ".[3]

وفي تتبعنا لمحطات رواية التبر يتضح لنا بأن هذا الإله هو :" الآلهة تانيت " ، والتي يصفها الكوني في سرده بأنها عبارة عن صنم " قاعدته صخرية مثلثة الزوايا في نهاية المثلث تجسم صور الإله مباشرة بصخرة كبيرة فوق الصدر ، ارتفع الرأس ، فتم الاستغناء عن الرقبة أيضا ،ملامحه خفية تنطق بعبادات آلاف السنين ، الأحجار التي تعودت أن تتلقى التوسلات أمدا طويلا تكتسب هذه الملامح فقط ، العين اليمنى أكلتها رياح القبلي المحملة بالحصى والغبار ، أما الناحية اليسرى فمازالت تنطق بتاريخ الصحراء الحزين ".[4]

وأسطرة المكان تجسدت في عدة أمكنة نذكر منها :

[1] - نفسه ، ص: 136.
[2] - نفسه ، ص: 118.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 32.
[4] - نفسه ، ص: 33.

* **تناوله للبئر :** جاء في رواية التبر قول الكوني : " بدون الماء لن تتحقق أي معجزة في الصحراء "[1] ، والماء بطبيعة الحال مرتبط بالبئر ، وحكاية البئر في رواية التبر بدأت تذكر عندما قطع أوخيد شوط المعاناة مع الأبلق طلبا في شفائه ، يقول :" عندما عاد من رحلته الوحشية وجد نفسه فوق البئر في آوال".[2]

ويقول في موضع آخر :"ورد رعاة الإبل إلى البئر ، وجدوا الجسد النحيل ، العريان ممددا أسفل الفوهة ".[3]

والحديث عن البئر هو استدعاء لتراكمات أسطورية ترى أن البئر هو أول مؤسسة أسطورية مناهضة للعطش ، وبالتالي الصراع بين الحياة والموت ،يقول عنها الكوني : " تؤكد بعض الأساطير أنها مركز الدنيا ... وأصل الكون ومصدر الحياة في الزمان القديم ، ولولاها لاندثر الناس والحيوانات في الصحراء منذ قرون "[4].

وبالعودة إلى الأسطورة نجد أنها تروي حكاية ثلاث فتيات تهن في الصحراء ، حيث كانت تانس مع أخيها أطلانتس ضمن الفتيات الثلاث اللاتي ابتلعهن الخلاء وضعن في الصحراء مع إخوتهن في الزمان القديم ، بحث الأهل عنهن ، وعن أشقائهن الصغار شهورا فلم يعثروا على أثر.

ولكن الفتيات اهتدين إلى بيت به رماد ، وجلسن يبكين حتى أشارت عليهن تانس بالسعي في الأرض والبحث عن الأهل .

ولكن إحدى الفتيات اقترحت ذبح الإخوة من أجل سد الرمق ، وبالفعل حدث ذلك ، إلا أن تانس لم تذبح أخيها أطلانتس ، وفضت ذلك ، مما جعلها تسقط في صراع وعراك مع الفتيات ، مما جعل تانس تهرب مع أخيها ،حيث وبعد أيام اهتدت إلى واحة صغيرة بها نخلة باسقة

[1] - نفسه ، ص: 47.
[2] - نفسه ، ص: 52.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 55.
[4] - إبراهيم الكوني : رباعية الخسوف ، رواية ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط3 ، 1991، ص : 46.

فوق بئر ماء ، وبعد أيام مرت قافلة فرأى الأمير تانس وجمالها الفاتن ، فقرر أن تكون هذه الحسناء زوجته ".[1]

وهنا يأخذنا الكوني ليتقاطع مع بقية القصة في حديثه في آخر التبر :" تعرفون كيف انتقمت تانس من ضرتها الشريرة "[2]

ويوضح ذلك أيضا فيقول : "قيدوا يديه ورجليه بالحبال ، جاؤوا بجملين شدوا اليد اليمنى والرجل اليمنى إلى جمل ، وشدوا اليد الأخرى والرجل اليسرى إلى الجمل الآخر ، صاح البدين :

- السوط – السوط

أحرقوا أجسام الجمال بألسنة السياط ، قفز أحدهم نحو اليمين ، وقفز الآخر في الاتجاه المضاد ، وجد نفسه في البرزخ ، سقط من حافة البئر ".[3]

وهكذا لم تدم سعادة تانس التي انتقمت منها ضرتها ، هذه الأخيرة التي حسدت تانس لجمالها الفاتن الساحر ، تانس التي تعود الناس أن يأتوا إليها في الليالي المظلمة ، يركعون تحت أقدامها و يتوسلونها قائلين :

يا تانس ! اكشفي عن وجهك ، وأضيئي لنا الليل البهيم ، إننا نريد أن نحلب النوق على ضوء وجهك الذي ينافس البدر!.[4]

وهكذا بقي البئر شاهدا على قصة تانس وأخيها أطلانتس .

* **تناوله للجبل :** يفرض الجبل وجوده في روايات الكوني فرض شموخه في الواقع ، لكن بصورة أقرب إلى الغموض والغرابة أو - بالأحرى – يفرض وجوده بأسطرته ، كونه مأوى للعالم الآخر (عالم الجن) ، وما يحمله من رسومات ترمز إلى تراث الآباء والأجداد ، وما

[1] - ينظر : إبراهيم الكوني ، البئر ، (رواية) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، ط3 ، 1997، ص 62 - - 76 .
[2] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 158.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 158.
[4] - ينظر : إبـراهيم الكوني : البئر ، ص: 62--76.

جبال الحساونة في رواية التبر إلا دليل على ذلك ، يقول الكوني : "في مدخل الجبلين المتقابلين ، في خلاء لا ينتهي ، وقف نصب المجوس في صدر ربوة وحيدة ".[1]

"زغردت الجنيات في جبل الحسناوة " [2]

ويقول في موضع آخر :" قبل أن يستقر في الشق تفقد الجبل الجليل الممتد من الغرب خاشعا ، ساجدا نحو الشرق ، صوب القبلة ، ينسج لقمته العالية عمامة زرقاء من قبس الفجر الصحراوي المسحور ... ويكتم السر الذي حفظه من فم الملكوت في الليل ".[3]

وعن الرسومات التي نقشت على الجبل يقول الكوني : " وفي النهار رأى رسوم الأولين ، كان الجدار العمودي للشقين مزينا بالصور الملونة .."[4]

وبالإضافة إلى كون الجبل محراب الآلهة فهو الملجأ والحامي لمن استنجده ، فهاهو أوخيد بعد مطاردة قبيلة دودو له يلجأ إلى الجبل ، يقول الكوني :" ركض النهار كله حتى أشرف على نهاية الجبل شرقا ، صعد إلى أعلى قمة وخبأ مؤونته هناك ".[5]

ويقول أيضا : "طار إلى الصحراء ، عاد إلى جبل الحساونة ، واعتصم بالكهوف ".[6] ويقول الكوني على لسان أوخيد مخاطبا الأبلق :" لا تخف علي ، لن ينالني أحد في تلك القمم ".[7]

وفي هذا المكان الطاهر يلتقي بأوخيد حيوان الودان[8]، هذا الحيوان الهارب هو الآخر من أيدي الصيادين ، يقول الكوني : " مجموعة من الرعاة تطارد ودانا متوجا بقرنين كبيرين يتجه إلى جبل بعيد "[9].

[1] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 32.
[2] - نفسه ، ص: 45.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 147.
[4] - نفسه ، ص : 148.
[5] - نفسه ، ص: 145.
[6] - نفسه ، ص: 142.
[7] - نفسه ، ص: 145.
[8] - **الودان** : أو (الموفلون) أقدم حيوان في الصحراء الكبرى ، وهو تيس جبلي انقرض في أوربا في القرن السابع عشر، التبر : ص 80.
[9] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 148.

وبهذا نجد الكوني يصور الجبل بنوع من الغموض ويؤسطره ليحمله رمزية مثقلة بالمعاني والدلالات ، رمزية العبادة ، حيث أنه سكن العباد والزهاد ، ورمزية الخلود حيث المقاومة والاستمرار والدوام ، ورمزية الدفاع والحماية وكتم الأسرار فهو الذي خبأ الرسول سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وصاحبه الصديق -رضي الله عنه -. وبهذا فالجبل جزء من كل ، تعبير خفي عن صحراء سكنها السمو والعلو كمـــــــا سكنها الإنس والجن.

4- التناص التاريخي :

يعرف التناص التاريخي بأنه تداخل النص مع نصوص تاريخية بحيث تكون منسجمة معه ، ومناسبة له ، وهو أيضا توظيف للتاريخ [1] ،من خلال استدعاء نموذجات تاريخية ،يتم توظيفها في أبعادها الرمزية ، سواء تعلق الأمر بنموذجات الأشخاص أو الأحداث أو الأمكنة.

ومن خلال هذا ، وللتفصيل في هذه القضية ، ارتأيت أن أعرج على النقاط الآتية :

4-أ-تناص نموذجات الأشخاص .

4-ب-تناص نموذجات الأمكنة .

4-ت-تناص نموذجات الأحداث .

4-أ-تناص نموذجات الأشخاص :

يوظف الكوني التاريخ في رواياته ،وبالخصوص التبر والفزاعة، ويكمن ذلك من خلال توظيفه للأسماء التاريخية الأمازيغية الطارقية ، بل وحتى التغني بها ، ومثال ذلك قوله في التبر :" عندما أقبل أمود استقبلناه بمهاري الحرب وأعطيناه فرسانا لا يخطئون الهدف ، مطلع قصيدة طويله لتمجيد الزعيم أمود في حملاته لصد الغزاة الفرنسيين"[2].

[1] - قد يتداخل التاريخ مع التراث ، لكن الفرق يكمن في أن التاريخ هو الجزء الموثق (المدون) من التراث ، فالتراث أوسع من التاريخ بهذا المنظور.
[2] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 12.

فاسم **أمود** هو اسم لبطل تاريخي أمازيغي ، قاد هجوما كاسحا ضد القوات الفرنسية التي اجتاحت منطقة الصحراء في فيفري 1881، وفيها قتل قائد البعثة الفرنسية الكولونيل "فلاترز" .

ومن الأسماء التي وظفها الكوني في نصه وهو يصف أوخيد في بكائه نجد "أخنوخن" ، يقول الكوني :" سليل أخنوخن العظيم يبكي في فراشه كأتعس أنثى "[1]، وأخنوخن هو "زعيم آزجر ، شيخ قبيلة إمنغساتن في القرن التاسع عشر ، لعب دورا رئيسا في صد الغزوات الفرنسية التي كانت تستهدف التوغل في الصحراء الكبرى ، والسيطرة على تجارة القوافل ، مات عن عمر تجاوز مائة عام ".

ومن الأسماء الأخرى نذكر : آنهي ، إيمسوان وانضرن ، آهلوم، ...

ومن تناص الأسماء التاريخية أنه على غلاف رواية الفزاعة يستعين الكوني برسم يذكر أنه لفناني ما قبل التاريخ في ليبيا.

4-ب-تناص نموذجات الأمكنة :

الملاحظ في نصي الكوني التبر والفزاعة هو الحضور المكثف للمكان ، بل أصبح لدى الكوني كشخصية روائية تلازم النص" لتتجاوز وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطارا أو ديكورا ، لتصبح عنصرا مهما من عناصر تطور الحدث "[2]، وذكره للمكان بأسمائه الحقيقية توثيق وإقرار بأن للطوارق تاريخ نسجته الصحراء بجبالها ورمالها وأمكنتها المختلفة ، ومن أهم هذه الأمكنة نجد :

* تنبكتو : يقول الكوني : " ابلغ الأحمق أن إيموهاغ (الطوارق) على حق عندما سنوا النسب إلى الأم، قل له أن يرافقها إلى بلاد السحرة "[3]، ويشرحها في الهامش : " بلاد السحرة : هي كانوا وتمبكتو ".

[1] - نفسه ، ص: 120.
[2] - إبراهيم صحراوي : تحليل الخطاب الروائي ، دار آفاق ، ط 1 ، الجزائر ، 1999 ، ص : 207.
[3] - إبـراهيم الكوني : التبـــر ، ص: 75.

وتنبكتو هي مدينة احتلتها فرنسا عام 1894 ، ويقول عنها الحسن بن محمد الوزان الفاسي في كتاب عنوانه" وصف إفريقيا" : " أنها مدينة بناها ملك يدعى منسا سليمان علي 610 هـ على بعد نحو اثني عشر ميلا من فروع النيجر" [1] .

وفي الجدول الآتي نذكر بعض الأماكن الأخرى التي جاءت في تبر و فزاعة الكوني :

النص الحاضر	التهميش في الرواية	اسم المكان
"قضى نهارا كاملا وهو يعد له ثياب الحلبة ، السرج صنعه أمهر الحدادة في غات ، والفرش كليمة مزركشة جاء بها التجار من توات ، والشكيمة ضفرتها عجائز قبائل ايفوغاس في غدامس ، والجراب طرزته أنامل حسناوات تامنغست ، أما السوط فهو قطعة نادرة ، مغطاة بخيوط الجلد التي نقشت عليها تمائم السحرة في كانو"	رواية التبر، ص:13.	- **غات :** مدينة تقع في صحراء ليبيا ، على مشارف الحدود الليبية الجزائرية ، وسكانها من الطوارق . - **توات :** ويقصد بها منطقة الجنوب الجزائري الكبير . - **غدامس :** مدينة ليبية تبعد حوالي 543 كيلومترا جنوب غرب العاصمة طرابلس على الحدود التـــــونسية الجزائرية . - **تامنغست :** مدينة جزائرية. - **كانو:** تقع ولاية كانو في

[1] - ينظر : الحسن بن محمد الوزان الفاسي : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1983 ، ص : 166.

		شمال نيجيريا.
"جاءت الحسناء من آير " ، ويقول الكوني في الهامش من نفس الصفحة: "آير : يطلق آير أحيانا على تمبكتو أو أغاديس ، أو كانو"	رواية التبر، ص:68.	**آير :** تقع في منطقة أغاديس شمال النيجر.
"لقد رآهم في واحة أدرار يجذبون بوحشية "	رواية التبر، ص:57.	**أدرار :** هي ولاية حدودية تقع في الجنوب الغربي للجزائر .هي الولاية رقم (1) في تصنيف الولايات حسب التنظيم الإداري الجزائري. لها حدود مع كل من مالي وموريتانيا، ويسود في الولاية المناخ الصحراوي.
"جاء الشيخ من مراكش "	رواية التبر، ص:66.	**مراكش :** وهي إحدى مدن المملكة المغربية ، وتقع في جنوب الوسط، .
"اشترى مهريا من الشنقيطي "	رواية التبر، ص:66.	**- بلاد شنقيط :** وهي موريتانيا حاليا.

4-ت- تناص نموذجات الأحداث:

إن الأحداث التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، بل لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية ، والقابلة للتجدد على امتداد التاريخ في صيغ وأشكال أخرى[1].

وفي نصي الكوني التبر والفزاعة يمكن التطـــرق إلى نوعيـــن من تنـــاص نموذجات الأحداث همـــــــا :

* تناص الأحداث الدينية .

* تناص الأحداث السياسية .

*** تناص الأحداث الدينية :**

تقاطع الكوني في نصيه التبر والفزاعة مع التاريخ الإسلامي ، باستدعاء تلك الأحداث والقصص التي ذكرها القرآن الكريم والحديث الشريف ، ونوضح ذلك من خلال الأمثلة المدونة في الجدول الآتي :

النص الحاضر	التهميش في الرواية	النص الغائب
رواية التبر محركها الأساسي الأبلق ، وهو فصيلة من الجمال ، فهذا الجمل أفتتن به أوخيد وأحبـــه، فكان سبب التعب والعقوبة لأوخيد .	متن رواية التبر كلها .	تناص مع قصة سيدنا صالح –عليه السلام- في القـرآن الكـــريم ، حيـــث جاء في الآية الكريمة :" **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (27) / من سورة القمر ".**

[1] - ينظر : عشري زايد : استدعاء الشخصيات التاريخية في الشعر العربي المعاصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د ط ، 1997 ، ص : 120.

"في مدخل الجبلين المتقابلين ، في خلاء لا ينتهي ، وقف نصب المجوس في صدر ربوة وحيدة ، في الزمان القديم لم يضنوا أنه صنم كان الضريح مزارا للجميع ، حتى الفقهاء وعلماء الدين اجمع الجميع أنه ولي شهد بداية الفتوحات، بل قالوا انه أحد الصحابة مات عطشا في الصحراء ".	رواية التبر، ص:32.	يتناص مع القصة التي جاءت بها الآيات الكريمات:" **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (23) / من سورة نوح .**" حيث أنهم كانوا في البداية أولياء صالحين لكن مع مر الأزمنة ووسوسة إبليس - لعنة الله عليه- اتخذهم الناس أصناما.
"الإنسان مخلوق خارق ... مخلوق صغير ، عاجز ، تافه ، تقتله بعوضة أحيانا"	رواية التبر، ص:48.	يتناص مع قصة الملك الظالم **نمرود** الذي قتلته بعوضة ، وهذه القصة هي : "أن ملكا ظالما كان له ملك الدنيا كلها ، ومع ذلك كان كافرا بالله ... يدعى النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح عليه السلام ... وكان ملك بابل. وقد استمر ملكه 400 سنه ، يحكم شعبه بالحديد والنار ، وكان يعبد الأصنام ثم جعل نفسه إله، وطلب من شعبه بان يعبدوه ...رأي في المنام يوما ، كوكبا ظهر في السماء ، فغطي ضوء الشمس ، فسأل حكماء قومه ، فأخبروه بان ولدا سوف يولد هذه السنة ويقضي على ملكك... فأمر بقتل جميع الأولاد الذين يولدون هذه السنة ... وفي تلك السنة ولد سيدنا إبراهيم ظن فخافت عليه أمه فخبأته في سرداب وكان الله يرعاه ، ....وعندما أصبح سيدنا إبراهيم شابا بدأ بمناقشة أهله وقومه يدعوهم لعبادة الله ، وترك عباده النمرود ... وفي احد الأيام وبينما كان قومه يحتفلون خارج المدينه ذهب سيدنا إبراهيم لأصنامهم وكسرها كلها إلا كبيرهم وعندما رجعوا من حفلتهم وجدوا اصنامهم مهدمة فسألوه فقال لهم انه كبيرهم الذي كسر الأصنام الأخرى لأنه يغار منهم

		فأخذوه للنمرود فبدأ سيدنا إبراهيم يناقشه بقدرة الله وقال له ربي الذي يحي ويميت وبين له الإثباتات علي ذلك ، وعندما فشل النمرود في إقناع سيدنا إبراهيم أمر جنوده بعمل برجا عاليا ليصل إلى رب إبراهيم ليراه ، ثم أمر بعمل نار كبيرة ، والقي فيها سيدنا إبراهيم ، ولكن الله جعلها باردة على سيدنا إبراهيم ، فلم تؤذه ... ثم دعا سيدنا إبراهيم النمرود مرة أخرى ليؤمن بالله ولكنه تكبر وعصى وكفر بالله ... فأرسل الله عليه وعلي جنوده جيشا من البعوض ، هجم على الجنود فمص دمهم وأكل لحمهم وشحمهم وابقي عظامهم فقط...فهلكوا جميعا ، وأرسل الله بعوضة فدخلت في انف النمرود ، ثم انتقلت لرأسه, فكان يطلب من الناس أن يضربوه بالنعال على رأسه ليخف ألم رأسه ... وعذبه الله 400 سنه ، مثل عدد سنوات حكمه حتى مات"[1]
"ورد رعاة الإبل إلى البئر ، وجدوا الجسد النحيل الدامي ، العريان ممددا أسفل الفوهة "	رواية التبر، ص:55.	يتناص مع قصة سيدنا يوسف عليه السلام لما وجده السيارة وأنقذوه من الغرق في البئر ، تقول الآية الكريمة :" **وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (19) / من سورة يوسف ".**
"قفز في الليل مذعورا ، رأى العرافة تقف فوق رأسه وتطالبه بأن ينحر الأبلق "	رواية التبر، ص:85.	يتناص مع قصة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام عندما رأى في المنام أن الله تعالى يأمره أن يذبح ابنه الوحيد إسماعيل الذي أحبه كثيرا، وأوخيد في الرواية قد أحب الأبلق كثيرا بل يرى أنه

[1] - ينظر الموقع : www.forum.jsoftj.com ، شوهد يوم :2013/01/02.

		أغلى ما يملك ، تقول الآية الكريمة :" **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) / من سورة الصافات ".**
" رأى في الحلم جمرات الموقد تسبح فوق ماء وفير دون أن تنطفئ ، ثم وجد نفسه يسبح بجوار الجمرات المنطفئة ، فاختلط الحلم بالحقيقة لما صحا من نومه "	التبر ، ص72.	يتناص مع الحلم الذي رآه سيدنا يوسف عليه السلام ثم أصبح حقيقة جاء في الآية الكريمة :" **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) / من سورة يوسف ."** والآية الكريمة :" **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..(100) / من سورة يوسف."** ويتناص أيضا مع الحلم الذي رآه الملك زوج زليخة في قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، حيث أصبح هذا الحلم حقيقة ، جاء في الآيات قوله تعالى :" **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) / من سورة يوسف ".**

"الآن فهم ، نسيم الصباح هب من الشرق ، فلم يكن صعبا على الأبلق أن يشم رائحته عندما انطلق هاربا"	رواية التبر، ص:114.	تناص مع قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما شم رائحة ابنه يوسف عليه السلام جاء في الآية الكريمة :" **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (94) / من سورة يوسف ".**
"رفع فوهة البندقية وسددها صوب رفيقه ، نهض عن الأرض ببطء كأنه ينتزع نفسه وقرب الفوهة من رأس الأبلق ، تقدم خطوة ، خطوتين حتى لامست الفوهة جبين الأبلق ، وضعها بين عينيه ، وتشبث بالسلاح بكلتا يديه ، في عينيه يلوح التصميم والإصرار والغموض ، يداه ثابتتان ، في المواجهة استسلم الأبلق أيضا التقت عيناهما ، الاستسلام في عينيه أيضا ، لم يرى فيهما الدهشة ، ... عيناه قالتا له : اضغط على الزناد ، تمدد لقاء العينين فانكسر الإسرار وارتجفت الكف ، غرس الفوهة في الرمل "	رواية التبر، ص:122.	يتناص مع قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أراد نحر ابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام ، جاء في الآية الكريمة :" **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إبراهيم (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَى إبراهيم (109) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) / من سورة الصافات ".**
"كاد يغرق ... لولا الحيوان	رواية التبر،	يتناص بالنفي مع قصة ابن سيدنا

الطاهر لأقتفى أثر إبليس ولتخلف عن السفينة ولهلك مع الهالكين "	ص:128.	نوح لما تخلف عن السفينة أثناء الطوفان وهلك مع الهالكين ، جاء في الآية الكريمة :" **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) / من سورة هود ".**
"ثم أقبلوا عليه فنزعوا قلبه ووضعوا في صدره قلبا آخرا"	رواية الفزاعة، ص:15.	تناص مع قصة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- ، والحادثة التي وقعت له وهو صغير ، حيث جاءته الملائكة ونزعت من قلبه حظ الشيطان . فقد ثبت شق صدر النبي - صلى الله عليه وسلم - في طفولته عند حليمة السعدية لنزع العلقة التي قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والحديث في ذلك ثابت صحيح أخرجه مسلم وغيره ولفظ مسلم " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ . ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لَأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَهُ فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ

		اللَّوْنِ قَالَ أَنَسٌ وَقَدْ كُنْتُ أَرْئِي أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ (رواه مسلم) [1]". والظئير المرضعة وهي هنا حليمة كما هو معلوم.
"في ذلك اليوم نطق اللسان بالإثم قائلا : أنا سلطان الأرض ، أنا سيد الكائنات "	رواية الفزاعة، ص:15.	يتناص مع قصة فرعون - عليه لعنة الله - عندما قال أنا ربكم الأعلى ، جاء في الآية الكريمة :" **فَحَشَرَ فَنَادَى (23) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (25) / من سورة النازعات ".**
"لأنه بوجودها وجد العدوان الأول الذي دفع الأخ ليرفع يده فيقتل أخاه ليمتلكها "	رواية الفزاعة، ص:146.	يتناص مع قصة هابيل وأخيه قابيل ، جاء في الآية الكريمة :" **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) / من سورة المائدة ".**

[1] - الحديث أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفرض الصلوات82/1.

*** تناص الأحداث السياسية :**

ويتمثل هذا النوع من التناص في استدعاء تلك الأحداث والوقائع التي جرت في الصحراء من حروب وغزوات واحتلال ، محاولا الكاتب إبراهيـــم الكـــــونـي استرجاعها والكشف عنها ، مذكرا بها ومعتبرا منها.

ونذكر بعضها في الجدول الآتي بالتوضيح :

النص الحاضر	التهميش في الرواية	النص الغائب
"مطلع قصيدة طويلة لتمجيد الزعيم أمود في حملاته لصد الغزاة الفرنسيين "	رواية التبر، ص:12.	تناص مع مقاومة أبناء المنطقة الصحراوية للاحتلال الفرنسي الذي اجتاحها في الربع الأخير من القرن (19م) ، حيث ظهرت مقاومة الشيخ **أمود** ، الذي قضى على البعثات الدينية التبشيرية وحتى العسكرية منها ، ومن ذلك حملة **فلترز** التي انطلقت من ورقلة عام 1880 .
"جاءت الأنباء بانكسار المقاومة في الحمادة أيضا ... باستشهاد الوالد ، قيل أنه قاوم ببسالة ، بل إن أهل الصحراء نظموا القصائد بعدها تمجيدا لبطولته ، ربما لأنهم لم يتوقعوا	رواية التبر، ص:76.	يتناص مع تاريخ المنطقة حيث احتلال الطليان للصحراء ، تناص تاريخي يكشف أن الصحراء قد احتلها الطليان وقد قوبلوا بمقاومة شرسة من أبناء الصحراء ، ويذكر التاريخ أن ايطاليا احتلت من شمال

من رجل مزواج متيم بالسبايا الزنجيات أن يسيطر المآثر في مقاومة الطليان".		إفريقيا ليبيا حيث في تشرين الأول / أكتوبر 1911 غزا الأسطول الإيطالي ليبيا.
"في تلك الأثناء شهدت الحمادة الحمراء أحداثا دموية إذ نجح الغزاة في كسر المقاومة بالساحل وتدفقوا في الدواخل عبر الصحراء الشمالية "	رواية التبر، ص:75.	
"الإنسان قادر أن يحول حتى صحراء الله الواسعة إلى سجن أبشع من سجن القائمقام التركي الذي رأى أطلاله في أدرار "	رواية التبر، ص:146.	تناص تاريخي يذكر احتلال الأتراك لمنطقة شمال إفريقيا ، حيث كان ذلك سنة : 942هـ (1535م).
" ولكن غزواته للنساء الأخريات لم تتوقف طوال هذه السنوات ... وعندما كانت القبيلة تقوم بغزوات داخل القارة ، كان الوالد يتنازل عن نصيبه من كل الغنائم باستثناء النساء "	رواية التبر، ص:70.	يتناص مع تلك الغزوات والحروب في الصحراء حيث قطاع الطرق .
"ويرى أن الخال لم يكن ينوي أن يورثه الزعامة لولا مصرعه المفاجئ على أيدي قطاع طرق في صحاري دنبابة "	رواية التبر، ص:71.	
"سنلتقي عندما تمر العجاجة ،	رواية التبر،	

ويتوقف الملاعين عن محاربتنا ، الحرب لن تستمر إلى الأبد "	ص:93.	
"فيظن البلهاء أن القبيلة تعرضت لغزوة غادرة من إحدى القبائل المجاورة "	رواية الفزاعة، ص:59.	
"لن تكون الغزوات غزوا إذا لم تكن المرأة فيها غنيمة "	رواية الفزاعة، ص:143.	
"يطيب له أن يردد ... طوال الغارات التي سنها فرسان القبيلة على القبائل التي تستوطن صحاري الجوار "	رواية الفزاعة، ص:143.	

وبهذا التناص التاريخي استطاع الكوني أن يملك "لغة تحوي قوة أكبر من الإيحاءات حيث تتعدى فيها الكلمات مقصدها الأولي ، لغة قادرة على نسخ ونقل التاريخ والإشارة إليه ... في سلسلة من الجمل يمتزج فيها الحلم والحقيقة ، الحاضر والماضي ، الدنيوي والديني "[1].

[1] - لورديس كاريبدو لوبث : الشعرية والبناء السردي في رواية صحراء لجان ماري لوكليزيو، ترجمة : هالة عبد السلام ، مجلة فصول ، ع 74 ، 2008 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص : 267.

5-التناص التراثي :

يظل التراث وعاء ثقافيا وفكريا يحتوي مختلف الألوان المعرفية كالمعتقدات والعادات والتقاليد والمعاملات ...والكوني بحكم أنه سليل الصحراء وابنها الوفي فقد تناص وتقاطع وتحاور في نصيه "التبر والفزاعة" مع البيئة الصحراوية ،بل صورها من خلال عكسه لتلك القيم الثقافية الفكرية والسلوكية التي ميزت المجتمع الطارقي الصحراوي ، وفي هذا الصدد نتعرض للتناص التراثي من خلال نقطتين هما :

5-أ-توظيفه للحكمة : وسأعالج ذلك تحت عنوان "ناموس الصحراء" .

5-ب-توظيفه للعادات والتقاليد ، وسأعالج ذلك تحت عنوان :" البيئة الصحراوية ".

5-أ- ناموس الصحراء :

يقصد بناموس الصحراء ذلك القانون الذي حددته تعاليم الصحراء ، من خلال مجموعة الحكم والوصايا والمقولات ...والحكمة كما هو معروف هي قول مختصر كثيف الدلالة ، يحمل قدرة تعبيرية هائلة بحيث يلخص الحياة ويختصر الأحداث ، والآن نذكر أهم السياقات التي تجلى فيها ناموس الصحراء ، وبذلك يظهر الكوني متناصا مع التراث الصحراوي :

الحكمة في نص الكوني	التهميش من الروايتين
" المهري مرآة الفارس "	رواية التبر، ص:19.
"بعد الضحك يأتي البكاء ، الفرح يعقبه الحزن ، والموت يأتي في غفلة الحياة"	رواية التبر، ص:22.
"الحيوان خير صديق "	رواية التبر، ص:22.
"من فقد عقله فقد نفسه "	رواية التبر، ص:23.

"الأنثى أكبر مصيدة للذكر "	رواية التبر، ص:24.
"في الحفر دائما تختبئ الأفاعي والعقارب "	رواية التبر، ص:24.
"الحياة هي الصبر "	رواية التبر، ص:25.
"اللي رجله في النار لا يسمع "	رواية التبر، ص:39.
"إذا حظر الشيء غاب نقيضه "	رواية التبر، ص:48.
"الكمال لله "	رواية التبر، ص:48.
"إذا اختلط الدم بالدم واتحد الجسد بالجسد ختم العهد بالأخوة الأبدية "	رواية التبر، ص:50.
"كل شيء يعود إلى الأصل في النهاية "	رواية التبر، ص:56.
"لا يشترى الشيء الجميل إلا بثمن باهظ "	رواية التبر، ص:58.
"الجمل مثل العبد ، إذا أسأت له فاحذره "	رواية التبر، ص:65.
"الإشارة مثل النبوة تومض مرة واحدة "	رواية التبر، ص:67.
"الثرثرة تقود إلى إفشاء الأسرار "	رواية التبر، ص:77.
"الحقيقة لا تمثل أمامنا إلا بعد فوات الأوان "	رواية التبر، ص:79.
"مقاومة المكتوب كفر "	رواية التبر، ص:79.
"السيف الذي لا يستعمل طويلا يعلوه الصدأ "	رواية التبر، ص:95.
"الأبناء فناء الآباء "	رواية التبر، ص:101.
"إذا غاب الحياء فالقوة هي قانون الصحراء "	رواية التبر، ص:107.

"في صدر الغريب يرقد السر "	رواية التبر، ص:108.
"البعيد عن العين بعيد عن الخاطر "	رواية التبر، ص:109.
"ما فات مات "	رواية التبر، ص:109.
"العيون مرآة القلب "	رواية التبر، ص:110.
"عندما يشترك الجميع فـــي جريمـــة فليس ثمة مجرم "	رواية التبر، ص:113.
"عناق الوداع دائما أقسى"	رواية التبر، ص:115.
"لن تصطاد الصقر إلا إذا عبثت بعشه "	رواية التبر، ص:156.
"لا تودع قلبك في مكان غير السماء"	رواية التبر، ص:165.
"رأس الحكمة أن لا تنظر بعين الاحتقار إلى الشيء مهما بدا بعينيك صغيرا "	رواية الفزاعة ، ص:75.
"لا تؤخذ النفس إلا بما تشتهي ، ولا يهلك الإنسان إلا بما يعشق "	رواية الفزاعة ، ص:82.
"المنفى أسوأ من كل عقاب "	رواية الفزاعة ، ص:89.
"عدو النار الماء"	رواية الفزاعة ، ص:103.
"رأس الحكمة أن لا تصدق امرأة"	رواية الفزاعة ، ص:118.
"بيت الأب للعذراء عش"	رواية الفزاعة ، ص:123.
" المرأة إذا كثرت في أرض كثرت فيها الفتن "	رواية الفزاعة ، ص:146.

"نكران الإحسان جبلة في الإنسان "	رواية الفزاعة ، ص:189.
"الناس أمانة في عنق من تولى أمر الناس "	رواية الفزاعة ، ص:186.

5-ب-البيئة الصحراوية :

لقد استطاع الكوني بلغته الساحرة أن يصور البيئة الصحراوية تصويرا فوتوغرافيا ، ويرسمها رسما فنيا من خلال ذكره للعادات والتقاليد وحتى المعاملات والسلوكات ... فقد تطرق إلى الملبس والمأكل والمشرب والنسب والزواج والطبقية والرقص والغناء ... وكل ما يمكن أن يصور حياة الطوارق ، وفي الجدول الآتي نوضح هذه التناصات من خلال رصد سياقات النص الحاضر واستكشاف النص الغائب :

النص الحاضر	التهميش في الرواية	النص الغائب (البيئة الصحراوية)
"وهم يتوجون رؤوسهم بالعمامات الفخيمة الزرقاء "	رواية التبر، ص:13.	- الملبس : (العمامة الزرقاء ، النعل من جلد ، اللثام ، العباءة الزرقاء ،..) - المسكن : (الخيمة)
"ألبسه الرعاة بالثياب،وزودوه باللثام "	رواية التبر، ص:56.	
"زاره في الخيمة"	رواية التبر، ص:58.	
"فنزع نعله الجلدي "	رواية التبر، ص:80.	
"لا يتوقف عن الضحك ومضغ التبغ "	رواية التبر، ص:95.	
"رأى دودو متدثرا بعباءته الزرقاء"	رواية التبر، ص:115.	
"أمر بإعداد الشاي "	رواية التبر، ص:18.	- المأكل والمشرب :

"جنى بضع قطع من الترفاس"	رواية التبر، ص:36.	(الشاي ، التبغ ، الترفاس...)
"جلس في العراء أمامه ، وهو يعقد يديه حول ركبتيه "	رواية التبر، ص:61.	
"إذ كان يقرفص أمام خيمته "	رواية التبر، ص:71.	
"لم نأكل سوى البرسيم طوال الأيام الماضية "	رواية التبر، ص:88.	
"قادوه إلى شيخ القبيلة "	رواية التبر، ص:18.	الطبقية في المجتمع الطارقي بحيث ينقسم هذا المجتمع إلى ست طبقات[1] هي : 1- ايماجغن : وهم طبقة الحكام . 2- اينسلمن : وهم الفقهاء و العلماء. 3- إيمغاد : وهم أصحاب الأملاك . 4- اينادن : وهم الصناع والحرفيون التقليديون . 5- بلاس : وهم العبيد
"شكتـــه الخـــادمة الـــزنجية إلـــى أمه "	رواية التبر، ص:22.	
"قالوا للضيف إنهم سادة الصحراء "	رواية الفزاعة، ص:14.	
"أرسل العبيد ليأتوه بالسحرة "	رواية الفزاعة، ص:131.	

[1] - عمر الأنصاري : الرجال الزرق ، الطوارق الأسطورة والواقع ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2006 ، ص : 29.

		المحررون . 6- إكلان : وهم العبيد
"رفع صوته بأحد تلك الألحان السحرية ... حتى يختم مواله الحزين "	رواية التبر، ص:11.	الأفـــراح : (الرقص ، الغناء ،الشعر ، الزغاريد ...)
"التدريب على الرقص في حضرة الحسان مهمة الفرسان في الصحراء"	رواية التبر، ص:12.	
"ليتدرب على التمايل على أنغام الموسيقى والإيقاع "	رواية التبر، ص:13.	
"وكوفئا بعاصفة من الزغاريد "	رواية التبر، ص:14.	
"صار النداء أغنية حقيقية تذكر بمطلع أغاني الشجون التي تسميها شاعرات القبائل أساهغ "	رواية الفزاعة، ص:37.	
"قل له أن يرافقها إلى بلاد السحرة "	رواية التبر، ص:75.	المعاملات (الانتقام ، التجارة ، الرشوة ، السحر ، الشعوذة ، السرقة ، المقايضة ، الثأر...)
"نقلا عن السحرة والعرافين في كانو "	رواية التبر، ص:77.	
"ويعبرون به الصحراء الشرقية نحو غدامس مع قافلة من الإبل المسروقة لبيعها هناك "	رواية التبر، ص:80.	
"في تلك الأثناء قايض أحد الجملين	رواية التبر،	

بالتمر والشعير "	ص:94.	
"لا تنس أن لدي قبيلة ... أقوى قبيلة "	رواية التبر، ص:107.	
"لا تعتبر هذا رشوة "	رواية التبر، ص:125.	
"آير بلاد السحر والسحرة "	رواية التبر، ص:140.	
"إذ جاء من آير أقارب القتيل ، وانتشروا في الصحراء طلبا لرأسه "	رواية التبر، ص:143.	
"ولكن يؤسفني أن أقول إن فرصتك في تولي القبيلة بعد أبيك ضعيفة ، لدى الشيخ أبناء أخت ثلاثة حسب علمي "	رواية التبر، ص:19.	النسب والزواج (يرجع الطوارق في النسب إلى الأم ، فابن الأخت هو الذي يرث وليس الابن ، وهي تأثيرات المجتمعات الأمومية)
"ابلغ الأحمق أن إيموهاغ (الطوارق) على حق عندما سنوا النسب إلى الأم "	رواية التبر، ص:75.	

وبالتالي استطاع الكوني بتناصه التراثي أن يرسم الصحراء معيدا إليها إشراقها الروحي ، محيطا بحيواناتها ونباتاتها ورمالها وسمائها وأرواحها و إنسها وجنها ،ليخرجها في الأخير لوحة فنية قابلة للتأويل ،ومفتوحة على جميع الاحتمالات .